رواية مقتبسة من أحداث حقيقية

ياسمين

في الحرب

قيس الدمشقي

المقدمة:

ياسمين فتاة دمشقية حاولت أن اختزل بشخصيتها وأعمالها ماتيسر من أنجازات المرأة السورية في ثورة عام 2011 ابتداء من الأعمال الثورية والبطولية مروراً بالمعاناة والظلم الذي عانت منه الكثير من الفتيات اللواتي عملن في الثورة.

حاولت قدر الإمكان أن أعطي شخصية ياسمين حقها في سرد قصتها وأعمالها ,تجمع شخصيتها أعمال العديد من الفتيات اللواتي عايشتهن خلال مروري في الثورة أو سمعت قصصهن ممن كانو رفاقاً لهن ,لذلك أؤكد لك عزيزي القارئ أن كل ماستقرأه حصل في بلادي وإن الأمر الوحيد الذي غيرته هو جمع الأعمال التي حصلت واقعاً بالشخصيات التي سوف ترد بالرواية وأؤكد أيضاً أن كل شخصية في الرواية إذا ابتغيت ذكر أعمالها منفردة سوف أكون قادراً على كتابة عدة روايات منفردة حتى أستطيع إعطائها حقها، فمامر في بلادي قد أفرز أبطالاً لاتستطيع الكلمات وصفهم بإنصاف وخصوصاً المرأة السورية.

11-3-2011

في مثل هذه الأوقات من السنة تبدأ الورود بالانتشار على الأشجار في غوطة دمشق فترسم في أشجارها بساطاً أبيض من الياسمين تشعر وكأنك تريد أن تقفز عليه مثل طفل صغير تماماً كما تفعل ياسمين تلك الفتاة الشقية المتمردة ذات البشرة البيضاء الناصعة وحجابها الأنيق والتي ترسم الضحكات على خد أخيها الصغير في رحلة عائلية دمشقية مع ابريق الشاي الموضوع على سيارة والدها الحاج أبو أحمد ووالدتها الأربعينية التي ترى النور من عيون ابنتها المميزة التي استطاعت خطف قلب والدها الحاج بدلالها المستمر حتى أن طلباتها تعد أوامر عند الحاج

أبو أحمد ,تستخدم ياسمين دهائها في الحصول على ماتريد فإذا اختلفت هذه الفتاة الجامعية مع والدتها حول طبخة اليوم بحضور الحاج أبو أحمد فإن أول ماتدركه وهي ترسم ابتسامة المكر على وجنتيها وهي خارجة من المنزل أن الحاج أبا أحمد سوف يحضر مقادير الطبخة التي اختارتها ياسمين فهي أذكى بناته وأكثرهن تحصيلاً في المدرسة ملتزمة بتعاليم اسرتها وسمعتهم تمتلك فراسة عالية وذكاء حاد لدرجة أنها تتصنع الغباء أحياناً للحصول على ماتريد أو لفهم حقيقة مايريده الآخرون , وتملك من الحساسية والبراءة مايكفي لجعلها فريسة سهلة للدموع وغنيمة كبيرة للمتسولين فهي لاتستطيع أن تردهم خائبين.

الأيام الأولى للربيع باتت تدق أبواب دمشق وعادة ماتكون الأحاديث في المجتمع النسائي حول التجهيز للملابس الربيعية وحول الفواكه التي سوف تطرح في السوق قريباً وخصوصاً العوجة والجانرك ,لكن هذا العام كان مختلفاً لدى ياسمين فقد كانت في معركة مع صديقتها المقربة رشا حول الثورات العربية وكم تحلم أن تعاد الكرة التي حصلت في السابع عشر من الشهر الفائت في منطقة الحريقة بدمشق فبالنسبة لرشا إن فكر الثورات العربية مؤامرة خارجية يجب أن نهدأ قليلاً قبل الخوض فيها حتى نرى نتائجها في الدول الأخرى وهي أساساً تظن أن الثورة لن تمر على سوريا وأن ماحصل في الحريقة بدمشق يدل على أن النظام يستطيع ان يطفئ نار أي ثورة دون حتى أن يعطي لها المجال للخروج من قيدها , أما بالنسبة لياسمين فهي وقبل أي شيء لن تسمح لصديقتها المقربة أن تكون ساذجة أو جبانة ولن تتركها حتى تقنعها بأن نظام الأسد سيزول وأن الثورة لابد أن تبدأ بالقريب العاجل ,كان لياسمين ماتشاء فماهي إلا

ساعات قليلة حتى كادت رشا تخرج وتصيح في حرم الجامعة طالبة للحرية ولكن ياسمين حذرتها من فتح موضوع كهذا مع أي كان.

15-3-2011

بدأت ملامح الحركات الاحتجاجية فهاهي أسواق دمشق مرة أخرى تصرخ في وجه نظام الأسد ضمن تظاهرة خرجت من سوق الحريقة كانت قد نظمت من قبل مجموعة من النشطاء والمعارضين السياسيين، وكانت بوادر حراك مدني قد ظهرت مقابل السفارة الليبية بوقفة صامتة مع الشموع في الشهر السابق رغم أن نظام الأسد كان مدافعاً رئيسياً عن نظام القذافي فقد أدرك الأسد أن دوره سوف يأتي ولابد أن يتوقف هذا المد في إحدى الدول العربية بأي طريقة كانت.

عاد أحمد شقيق ياسمين إلى المنزل وقميصه ممزق ممادفع أبو أحمد ووالدته إليه مستفسرين عن السبب الذي أودى به إلى هذه الحال وماسبب علامات العصي على كتفيه ,اما بالنسبة لياسمين ففور معرفتها بأن أحمد كان في المظاهرة ذلك اليوم بدأت بالغضب عليه لماذا لم يصطحبها معه ,مماأدى إلى خلاف داخل المنزل المحافظ فأم أحمد تبكي أبنها وأباه يوبخه لأنه يرى أن مايفعله سوف يودي به وربما بأخته ووالدته إلى التهلكة قائلاً (يابي هدول عالم ولاد حرام ومابينعلق معهم)

فأجاب أحمد بإصرار أن هذا هو السبب الرئيسي الذي دفعه إلى الخروج ضدهم، بدأ الحاج أبو أحمد ووالدة أحمد بإقناعه بالعدول عن الأمر ريثما تشتد المظاهرات وحينها يشاركون جميعاً أما بالنسبة للداهية ياسمين فقد كانت متكئة على الأريكة تفكر كيف ستصدح في المظاهرة المقبلة عندما تقنع أحمد بأن يأخذها أو كيف سوف تستطيع معرفة أوقات

مظاهرة أخرى دون الحاجة لأحمد فالأمر مصيري وفيه اعتقال ومهما استخدمت دهائها في إقناع أحمد لن تستطيع اقناع أخيها فهما مشتركان بعند وراثي ,بدأت النقاشات في العائلة حول الموقف الذي يجب أن تتخذه العائلة تجاه المظاهرات ذلك اليوم ,فاجتمع فريق ياسمين وأحمد مقابل فريق الحاج أبو احمد وزوجته مع انضمام أحمد لفريق الأبوين عندما يتعلق الموضوع بمشاركة ياسمين في التظاهرات فبالنسبة للجميع ياسمين فتاة قد تتعرض للأذى مماأثار جنون ياسمين بسبب اصطفاف الجميع ضدها عندما يتعلق الأمر بمشاركتها أما في الحالة الأولى فقد كان الحاج أبو أحمد حريصاً أن يدعو أحمد إلى الصبر لحين اشتداد المظاهرات واقناعه بعدم افتعال أي مواجهة مع الامن السوري ولكن الحاج أبو احمد لم يكن يدري بأن لديه من يتوق لهذه الثورة منذ زمن طويل أكثر من أحمد ولم يكن يدري بأن قطته الصغيرة ياسمين سوف تصبح يوماً من الأيام قصة مأساوية في هذه المجرة وأن مدللته سوف تكون ضحيةً لعدوٍ لايعرف رادعاً في قتال أعدائه ,وهنا كانت كلمة الحاج أبو أحمد المحققة لأبنائه (بكرا بذكركن هدول ناس باطنيين مستعدين يدمرو البلد حجر على حجر كرمال ابن الكلب يضل عالكرسي)

18-3-2011

اشتعل فتيل أيقظ الحراك الشعبي وأوصله إلى حد الثورة في مدينة درعا بسبب اعتقال أطفال كتبو شعارات مناوئة لنظام الأسد على جدران مدرستهم الابتدائية وبسبب اعتقال عدة نساء والقيام بتعذيبهم وحلق شعرهن من قبل عاطف نجيب أحد الأركان الرئيسية في جهاز الأسد الاستخباراتي، بدأ الحراك الشعبي ينتشر مثل النار في الهشيم .
استيقظت الحاجة أم احمد على بكاء ياسمين بسبب سقوط أول شهداء

الثورة السورية في مدينة درعا وأخذت ياسمين تسير في البيت ذهاباً وإياباً لساعات تفكر وتشعر بالمسؤولية حول مايجب أن تفعله للوفاء لشهداء درعا وهي في تلك اللحظات جالسة في بيتها العريق في منطقة ساروجة بدمشق، تتالت الاخبار تلو الأخبار ولم تستطع ياسمين أن تفعل شيئاً ولاحتى أن تعرف موعد مظاهرة فهي ليست شابة سياسية ولاأصدقاء سياسيين لها في هذه البلاد حتى أن هذه البلاد لاتعرف معنى كلمة سياسة إلا ماندر وغُيِّب، مرت جمعة وتلتها أخرى تظاهر النشطاء في مسجد بني أمية الشهير بدمشق استطاع الأمن السوري إلقاء القبض فيها على معظم المتظاهرين، أصرت ياسمين أن تشارك في الجمعة الثالثة في حال خروجها وبالفعل احتالت ياسمين على الحاج أبو احمد وتذرعت بأنها سوف تتناول وجبة الفطور في منزل صديقتها رشا ,ارتدت الفتاة المغامرة حجابها والجاكيت المتوسط الطول فوق الركبة ومن بعدها انطلقت الثائرة جديدة العهد صباحاً إلى محيط الجامع الاموي.

لفت انتباه ياسمين فور وصولها إلى المنطقة وجود العشرات من أعضاء حزب البعث والمئات من عناصر الأمن السوري كانت مهمتهم التصدي لأي محاولة تظاهر وتصويرها على التلفاز على أنها مسيرة مؤيدة للرئيس بشار الأسد من أجل تكذيب القنوات الإعلامية في حال استطاعت أي كاميرا أن تفلت من قبضة الأمن السوري فتصور وتنشر مقاطع التظاهر على قنوات اليوتيوب ومواقع التواصل الاجتماعي ,سكاكين على خصور عناصر الأمن وعصي وهراوانات سوف تغرز في أجساد من يحاول التظاهر ضد نظام الحكم في بلد لم يسمح فيه وجود أي طرف سياسي لايعمل تحت مظلة آل الأسد في سوريا.

حالة من الإحباط أصابت ياسمين فالتظاهر في ظل وجود كل هذه العناصر من الأمن أمر شبه مستحيل ولكن لابد لها ان تنتظر حتى انتهاء

الصلاة فلاسبيل للخروج بتظاهرة إلا بدور العبادة فلايوجد مكان يستطيع السوريون التجمع فيه من دون تسجيل أسمائهم إلا بدور العبادة فبالنسبة لياسمين الطالبة الجامعية إن أي محاولة تظاهرٍ ضد نظام الأسد داخل الحرم الجامعي يعني قبل أي شيء فصلها من جميع جامعات القطر ومن ثم اعتقالها هي وجميع من يشاركها التظاهر.

وقفت ياسمين عند الباب الخلفي للجامع الأموي الواقع في سوق الحريقة وسط العاصمة دمشق والذي يبلغ من العمر آلاف السنين حيث كانت تقف فتاتان مسيحيتان بدا لها أنهما قد تكونان هناك من أجل نفس السبب الذي قدم بياسمين إلى هذا المكان ,وماهي إلا فترة قصيرة حتى قفز شاب من داخل المسجد يوقف صوت رجل الدين (لم يكن حينها البوطي الذي قيل بأنه مسافر) يدعو الناس إلى عدم الانجرار إلى ماسماه فتنة في البلاد ويقاطعه بهتاف (الله سوريا حرية وبس) خرجت حشود المصلين إلى ساحة الجامع الأموي وبدؤوا بتكرير الهتاف ممأأدى إلى جنون من قدم بهم الأمن السوري وبدؤوا بالهتاف للحكومة السورية من الباب الرئيسي للمسجد ومن ثم راحت وحدات الأمن السوري تهاجم المتظاهرين بالسكاكين والعصي وتحاول القاء القبض عليهم ,بدأ المتظاهرون بالركض باتجاه البوابة الخلفية للمسجد وهذا مالم يكن الأمن السوري يتوقعه حينها، استطاع حوالي المائة شاب عبور البوابة الخلفية قبل أن يغلقها عناصر الامن المنتشرة في كل مكان.

تخبطت أحاسيس ياسمين وتخبطت أفكارها فلم تستطع تلك الشابة المغامرة أن تحدد ماهو شعورها هل تشعر بالفرح أم الخوف أم الحماس أم خليط غير متناه من المشاعر التي تدور في قلبها الجريء والطيب لكنها أدركت أمراً واحداً فقط ,انها تشعر بنشوة النصر مع شعور بالمسؤولية الذي بدا لها انها فجأة قد تحولت إلى فتاة تحمل هدفاً وهماً

اسمه وطن لا طاقة للجبال الشاهقة على حمله، كلمة وطن لم تكن تعني لياسمين ومعظم الشباب شيئاً قبل ذلك اليوم فلم تعرف هذه الشابة التي اجتازت العشرين من عمرها طوال حياتها ماالذي يقدمه الوطن لابنائه ومن أجل ماذا كانو يعلموننا في المدارس حب الوطن فأي حب ولأي وطن ذلك الوطن الذي لايسمح لها إلا بأن تعيش كما يريد القائد الخالد للوطن؟

تتذكر ياسمين لحظات طفولتها عندما بدأت بتقليد والدتها في الصلاة مروراً بدروس الدين مع مجموعة من الأطفال إلى لحظة تحجبها على يد مدرستها السرية في الدين في جلسات سرية لم تكن تسمح الحكومة السورية لها أن تنظم حتى لحظة حصولها على الشهادة الثانوية انتهاء بإعجابها بشاب من الدفعة القديمة بسبب علاقاته الاجتماعية وقوة شخصيته وأناقته ,بدا كل شيء يمر أمام عينيها الكبيرتان اللواتي تذرف دموع الفرح بسبب قدرتها على التمرد على النظام الذي كان يشكل رعباً لأصدقاء لها متفاخرة بأنها من أوائل المتمردين.

لملمت ياسمين أفكارها المشتتة وراحت تركز بالهتاف مع صديقتيها التي تأكدت أنهما انتظرتا ماكانت تنتظر وبدأت ياسمين الشابة المفعمة بروح الحماس تهتف (الله سوريا حرية وبس) وتهتف لدرعا المدينة الجريحة (يادرعا نحنا معاكي للموت) بصوت طفولي ذات نعومة تشبه قطرة الندى التي تقسم صخرة كبيرة قاسية بمجرد ملامستها لسطحها مما لفت انتباه المتظاهرين وأثار اعجابهم فراحو يحيونها بالهتافات (أخت رجال أخت رجال).

مشت المظاهرة في حارات دمشق القديمة حتى وصلت إلى شارع الثورة في تلك اللحظات كان الأمن السوري قد جهز وحدة من عناصر فرع الأمن السياسي من أجل تفريق المظاهرة والقاء القبض على المشاركين فيها عندها كانت ياسمين تهتف بصوتها الرقيق بقوة وعزيمة جعلتها

أميرة التظاهرة الأخيرة التي شهدها الجامع الأموي في تلك الفترة ,لاحظ أحد عناصر الأمن مشاركة هذه الفتاة بالتظاهرة فحماستها كانت تحث الناس على المشاركة رجال ونساء. جاء الأمر بالانقضاض على التظاهرة السلمية وبدأت قوات الأمن تعتقل وتضرب بالعصي والهراوى كل من استطاعو أن يلقو القبض عليه لكنهم لم يعتقلو الفتيات الثلاث فقد كانت الأوامر بأن لا يقتربوا على النساء حتى لايستفزوا أهالي دمشق كما حدث في درعا حفاظاً على شعرة معاوية ومحاولة ضبط المظاهرات داخل دمشق واخمادها، تفرقت المظاهرة وتوجهت الفتيات الثلاث نيرمين ولويز وياسمين إلى مقاهي سوق ساروجة القريبة واحتسو قهوة المظاهرة الأولى لهن بصمت وحذر دون أن تعرف أحداهن عن الاخرى سوى اسمها الأول والوهمي ,تعاهدت الصديقات الجدد أن يلتقين مجدداً في تظاهرة جديدة دون أن يتم تحديد مكان أو موعد تلك المظاهرة.

بسعادة غير متنهاية فتحت ياسمين باب منزلها وقد كانت تختطف انظارها إلى الخلف للتأكد من أنها لم تكن مراقبة من قبل أي أحد مستقبلةً صفعة من أعز إنسان على قلبها الحاج أبو أحمد فقد علم بالحيلة التي قامت بها ياسمين من أجل حضور التظاهرة لقد رآها أحد جيرانهم بالحي وهي تصدح بصوتها الرقيق بحماسة كبيرة ضد نظام الحكم عند مرورهم أمام سوق الخضار المحاذي لشارع الثورة لكن صفعة الحاج أبو أحمد لم تكن شيئاً أمام ضعفه أمام ابنته وكأنه رأى نفسه يفقدها بعد أن زرع أحلامه بطفلته الشقية وقال لها بصوت ضعيف كأنه سوف يصاب بوعكة في القلب (بدك تموتيني ,إذا اخدوكي شو بدي اعمل بحالي) ومن ثم جلس على الأريكة تعباً مكسور الخاطر خائفاً أن يفقد فتاته المدللة ,أجابت ياسمين والدمعة تسكن عينيها والنار تشتعل في قلبها على حال أبيها الذي لم تره في حالة مماثلة من قبل ولكنها رغم كل شيء قد اتخذت القرار الذي لاعدول عنه (والله مابخلي ولادي يقولو

ليش ماطلعتو ضد هالكلاب ولو بدي موت ألف موتة وانسجن ألف مرة)
لاأدري إن كانت تعي ياسمين ماتقول فقد كان هذا الأمر لتلك المغامرة مشروع ولادة إلى الحياة من جديد، سحبت الحاجة أم أحمد ياسمين إلى غرفة أخرى ووبختها وطلبت منها أن لا تجيب على صراخ الحاج أبو أحمد رغم أن ياسمين لم تكن ترد سابقاً على توبيخ والدها بل كانت تأخذه بالحيل وتصالحه فيما سبق لكن هذه المرة الأمر مختلف ,تمردت قطة الحاج أبو أحمد وأخذت ترد عليه متحدية إياه أن يوقفها مؤشرة له أنه لا حق له في إيقافها عن طريق الحق ,خرج الحاج أبو أحمد إلى محله في ذلك اليوم جلس مكسور الخاطر مشغول البال فهذا الحاج يعي جداً ماعاناه ثوار الثمانينيات وكم اختفى رجال ونساء عن العالم الخارجي في سجون الأمن السوري فجأة دون سابق انذار أو حتى دون ذنب إما اخت رهينة أو زوجة رهينة كتب عليها السجن بسبب موقف احد اخوتها او زوجها من الحراك ضد نظام الحكم أو حتى من لاعلاقة لهم بسبب تقرير من أحد رجال الاستخبارات، ولكنه وإذ يعلم أبناؤه ويعلم مالديهم من تصميم وجرأة عندما يكونون على طريق الحق وخصوصاً ياسمين فقد زرع فيها هو وزوجته حب العيش بحرية تامة وغذاها بثقته الكبيرة بقدراتها وأخلاقها.

استسلم الحاج أبو أحمد للأمر الواقع لكنه لم يخطر ياسمين بذلك حتى لاتعطي نفسها الصلاحية التامة وتخاطر بماتفعل ,وقد كان يوجه لها نصائح غير مباشرة بالتروي والابتعاد عن المخاطر ,فهمت ياسمين اللعبة والتزمت بقوانينها واستطاعت هذه الفتاة لأول مرة أن تصل لما تريد دون الحاجة الى استخدام الحيل والمراوغة.

مرت أسابيع قليلة بدأ حينها الثوار في سوريا بتشكيل مجموعات سرية على مواقع التواصل الاجتماعي وبدأت الدعوات للتظاهرات تنتقل من

الدعوة العلنية إلى الدعوة السرية كي لاتتعرض لها قوات الأسد ,في تلك الفترة عانت ياسمين ماعانى منه معظم الثوار السوريين فقد صدمت بمواقف بعض أصدقائها حتى انها بدأت تتحاشى الاختلاط معهم وشعرت بالخيبة من البعض الآخر ممن كان معارضاً لكنه لم يكن يجرؤ حتى أن يصرح بموقفه لأحد، لاثورة بلا جنون ولا عنفوان فالعقل في الثورات وخصوصاً في الحالة السورية يعني أن تبتعد عن أي شيء اسمه ثورة فالثورة في سوريا تساوي الموت أو المعتقل.

كان من حسن حظ ياسمين أن صديقتها رشا وهي الصديقة الأكثر تقرباً منها أنها كانت رفيقتها بمعظم أعمالها الثورية ,اتفق النشطاء على تنظيم مظاهرة طيارة استخدمها النشطاء السوريين في دمشق كوسيلة أخرى للتظاهر في حين لم يكن باستطاعتهم التجمهر العلني واعتقال عناصر الأمن لكل من يشارك في أي تظاهرة كان لابد لهم إيجاد طريقة للتظاهر لتحاشي التصادم مع عناصر الأمن حدد مكان التظاهرة مقابل وكالة سانا للأنباء في ساحة البرامكة بدمشق خرجت ياسمين ورشا في المظاهرة وبعد بداية التظاهرة بثوانٍ قليلة تبين للنشطاء أن أجهزة الأمن كان لديها معرفة مسبقة بموعد المظاهرة ومكانها، بدأ الأمن بالهجوم على المظاهرة بالسكاكين والعصي والغازات المسيلة للدموع وقد استطاعو القاء القبض على الكثير من النشطاء نظرت ياسمين على بعد أمتار منها رأت شاباً قد أمسك فيه ثلاثة عناصر من الأمن يضربونه ضرباً مبرحاً وهو يصرخ لهم بأنه لاعلاقة له بالتظاهرة كما هو المتفق عليه فمن واجبك أن تنكر علاقتك بالمظاهرة، ركضت ياسمين باتجاه الشاب وأخذت بيده وقالت للعنصر أنه صديقها ولا علاقة لهم بالمظاهرة واستطاعت أن تحتال على العنصر وأن تستعطف الضابط بدموعها وخوفها فأمر الضابط العناصر بإخلاء سبيله وتركهما ينطلقان في طريقهما.

على بعد عدة أمتار من الضابط رسمت ابتسامة على وجنة الشاب الذي أنقذته ياسمين نظر الشاب إلى ياسمين ولم يدري ماذا يقول لها فهو شاب غيور على الفتيات يخاف من أي يؤدي مافعلته ياسمين بإيذائها واعتقالها في حين أن سبب القاء القبض على الشاب كان للفت الانظار عن فتاة كان يلاحقها عنصر الأمن نظر الشاب يزن إلى ياسمين وقال لها (مابعرف شو بدي قللك شكراً الك ولا كنتي حتروحي حالك) غضبت ياسمين من طريقة رد يزن لمعروفها مابالِه وبالها فأجابته (ليش انت ماروحت حالك نشان مايكمش البنت التانية) شعر يزن بجنون من يخاطب ولكنه لم يرد أن يكون متساهلاً عسى أن لاتعيد هذه الفتاة الكرة مع أحد آخر ويلقى القبض عليها ففي الآونة الأخيرة بدؤوا باعتقال الناشطات في دمشق (أنا شب وهي شغلتي يلي ساويتيه جنان وموشي حلو) شعرت ياسمين بغيرة يزن على الفتيات ولكنها كعادتها رغم رقتها وعدته بأنها ستعيدها مع الجميع إلا معه، انطلقت ياسمين برفقة رشا إلى منزلها بعد أن أعطت الناشطات طريقة جديدة لمنع اعتقال النشطاء، اصبحت طريقة ناجحة يستخدمونها ثابرت على النجاح لفترة جيدة وأدت إلى إنقاذ حياة عشرات الناشطين من الضياع.

بعد فترة ليست بالطويلة أمست المظاهرات في معظم المدن السورية تتميز بمشاركة كبيرة من المجتمع النسائي أما في دمشق فالفتيات الدمشقيات كنَ يرسمن فراشاً ناصع البياض بحجاب لاينكر العدو أو الصديق له بأنه أخرج تعريفاً جديد للحرية فعندما تتألف المظاهرة من ألف متظاهر ترى فراشاً أبيضاً ناصعاً من اربعمائة وتسعون محجبة وحوالي عشر فتيات غير محجبات، لايستطيع أحد إنكار وجود الفتاة السورية بكل توجهاتها في الثورة السورية محجبةً كانت أم غير محجبة وبالوقت ذاته لايستطيع أحد أن ينكر احترامه لبساط الياسمين المشكل من قبل المحجبات داخل المظاهرات المناوئة لنظام الأسد وماهي حجم التضحيات التي قدمتها ياسمين وصديقاتها في ثورة الكرامة.

بدأت الأحداث بالتسارع في معظم المدن السورية وارتفعت وتيرة قتل المتظاهرين من قبل نظام الاسد حتى أصبح عدد الشهداء أكبر من أي ثورة عربية سابقة في الربيع العربي، وتنوعت اساليب القتل التي اتبعتها اجهزة المخابرات السورية المشرف الاول على انهاء الثورة ضد الحاكم السوري من رمي بالرصاص على أي تجمع مدني سلمي أو من خلال الموت تحت آلة التعذيب في أقبية المخابرات.

تولدت حالة من الخيبة لدى ياسمين وصديقاتها بسبب عجز المتظاهرين داخل العاصمة دمشق من احتلال ساحة والاعتصام بها، لم تكن تدري تلك الفتيات أن التركيز الرئيسي لدى المخابرات السورية كان بالعمل ليلاً نهاراً للحفاظ على دمشق العاصمة مكبلة بوثاق اغريقي، فدمشق بالنسبة للأسد الحلقة الأخيرة في حكمه وعليه أن يحافظ عليها حتى لو اضطر على أن يتخلى عن جميع المدن السورية.

بدأت تشعر ياسمين بحالة من الهستيريا نتيجة التزايد الهائل لأعداد الشهداء في سوريا راحت تدعو الله بأن تقتل باحدى المظاهرات حتى تكون ناراً تأكل في نظام الأسد ولكن برائتها لم تكن تدري بأنها سوف تكون في يوم من الأيام ناراً تعري كل من يدعي حمايته للإنسانية وحقوق الانسان، أدت هذه الحالة الهستيرية على انعكاس واضح المعالم في تصرفات ياسمين في أعمالها الثورية، نظم يزن وعمر ومراد مظاهرة في حي الميدان الدمشقي الذي يقطن فيه قرب مسجد الحسن، كانت التعليمات على المجموعة السرية أن لا يبدأ احد بالهتاف فقد اختار منظمو التظاهرة عضواً يبدأ بالهتاف عندما يكون الوضع مناسباً ، انطلقت ياسمين ورشا ونيرمين إلى المظاهرة وعند الاقتراب من الموقع المحدد تبين ليزن أن عناصر الامن منتشرون في كل مكان ممأدى إلى الخروج بقرار إلغاء تظاهرة اليوم، فجأة ومن دون سابق إنذار بدأت ياسمين بهتاف (الله اكبر) عندها اجتمع حولها الشباب

والفتيات وأخذو حارة فرعية للتظاهر وماهي إلا بضع ثوان حتى انقض أحد عناصر الأمن وشد على معصم ياسمين محاولاً القاء القبض عليها بأمر من الضابط الذي انتبه ان هذه الفتاة المتمردة هي التي تحدت جهازه الأمني وعناصره وقررت التظاهر عنوة عنهم، بدأ عناصر الأمن بضرب الرصاص في كل حدب وصوب وانقض عناصر الأمن مثل الكلاب المسعورة تبحث عن فريستها، حاولت ياسمين إفلات معصمها من يد العنصر وراحت رشا ونيرمين تصرخان من أجل صديقتهما، فجأة أتى شاب ملثم وضرب عنصر الأمن بسكين على كتفه مماضطر العنصر أن يفلت ياسمين، دخل النشطاء الأربعة في أزقة حي الميدان الفرعية انتشر الأمن بعد ذلك في معظم مخارج الحي الرئيسية يبحث عن ثلاث فتيات بطريقة جنونية رفع الشاب لثامه فإذ يتبين لياسمين أنه يزن ينظر إلى ياسمين نظرة غضب وحزم لكنه في تلك اللحظات لم يكن قادراً على الجدال مع هذه العنيدة وأخذ يدل الفتيات المرافقات له على الطريق ويأمرهم بالالتزام بتعليماته حتى يستطيع أن يصل بهن إلى بر الأمان، دخل يزن إلى منزلٍ عربي عريق في إحدى أزقة حي الميدان وطلب من الفتيات الدخول، خرجت الحاجة أم يزن واستقبلت الفتيات المرعبات واستقبلت ياسمين التي كانت تشعر بخجل كبير بسبب حماقتها التي كادت تودي باعتقالها واعتقال يزن، بدأ يزن يوبخ ياسمين بسبب طريقتها الجنونية سائلاً إياها هل تريدين الانتحار؟

كأنه يعرفها منذ عقود ولديه من الحق والسلطة عليها حتى يوبخها بشدة ولكن هذه المرة لم تجرؤ ياسمين على رد الجواب ليزن واكتفت بالبكاء مما جعل يزن يشعر بحالة من الذهول فتلك الفتاة التي اجابته في المرة السابقة بكل جرأة تبكي مثل طفلة صغيرة مدللة محاولة كبت دموعها، أمرت الحاجة أم يزن ابنها أن يصمت ويعد الشراب الساخن للثائرات الزائرات ريثما يأتي الحاج أبو يزن وتصل معلومات حول أمان الطريق من عدمه، أمضت الفتيات ساعتان في منزل الحاجة أم يزن وأخذت تريهم صور ابنها الذي استشهد

في أحداث الثمانينات على يد نظام الأسد الأب وهي ترى الثأر على يد ولدها يزن الشاب الجامعي خريج كلية الاقتصاد والذي يعمل في مجال المحاسبة في شركة مرموقة، يزن شاب عطوف ومحب لوالده ووالدته رغم أنه شاب مشاكس في أمور النساء.

عاد والد يزن إلى المنزل ورحب بالفتيات الجميلات اللواتي كدن أن يكن سبباً باعتقال فلذة كبده ولكنه كان فخوراً أيضاً بشجاعة ابنه يزن.

تصدرت ياسمين الفتاة الاجتماعية حديث الجلسة وشاركت والدي يزن الحوار بشكل ملفت للنظر بدهائها المعتاد وكأنها نسيت ماتسببت من مصائب قبل قليل كما كان يجول في خاطر يزن، اتصل عمَر صديق يزن وأعطاه إشارة بأن الطريق بات آمن إلى خارج الحي، ذهب يزن لإيصال الفتيات إلى بر الأمان واصطحب معه والدته التي أصرت أن ترافقهم التزاماً منها بتقاليد العائلات الدمشقية، نزلت ياسمين ورشا ولم يخفى على الحاجة أم يزن ماتقرأ في عيون ابنها الكتومي فنظرته إلى تلك الفتاة كانت مختلفة عن غيرها من الفتيات وأخذت تحلم بزوجة لابنها الذي أصبح في سن مناسب للزواج، لم تخبر الحاجة أم يزن ابنها مايدور في خاطرها ففراستها أخبرتها بأن اليوم الذي سيطلب من أمه أن يخطبها ليس بالبعيد واكتفت فقط بكلمة صغيرة (تسلملي عينها شو طيوبة وظريفة) كانت تلك الكلمات تكفيها لتوصل اشارة إلى ابنها بأن يمضي بما يجول في خاطره، كثرت لقائات يزن بياسمين في المظاهرات ولم تكن تجمع بينهم سوى الأعمال الثورية وبطريقة رسمية بحتة.

على هدير الماء بالمحاذاة من البحيرة في إحدة المقاهي الدمشقية أفشى يزن لصديقه عمَر المقرب أسراره التي لم يكن يشاركها من قبل مع أحد، فهذا الشاب الوسيم لم يكن يعرف عشقاً حقيقياً وكانت معظم الفتيات بالنسبه له لسد فراغ لاأكثر، ضحك عمر على حال يزن وأخذ ينصحه أن

تكون هذه العلاقة مختلفة عن غيرها مختلفة عن غيرها فياسمين شابة محافظة تحمل شخصية قوية لن يستطيع التلاعب معها، لم يكن يخطر في بال يزن التلاعب بمشاعر ياسمين ولكنه كان متردداً ماإذا كان الوقت مناسباً للارتباط فالموت قريب من الجميع، اختصر عُمر الطريق لنقاش طويل مع يزن واجابه قائلاً(مو كل حدا بيصحله ياخد بنت ثورجية اخت رجال متل ياسمين لاتخسرها ودق الباب) لأول مرة تبين لعَمر أن صديقه يزن مقتنع بمايقول فيما يتعلق بامرأة فأخذ يزيد عليه (الدنيا فيها موت وحيا خصوصاً هي الأيام ساوى شغلة لربك بتعيش طول عمرك مرتاح) وبعد جدال دام لوهلة ليست بالقصيرة قرر يزن أن ياخذ رأي ياسمين فإن لم تكن مرتبطة سوف يقوم بإرسال أمه لخطبتها والتعرف عليها عن قرب.

نظم مراد صديق يزن دورة تدريبية للاسعاف الأولي، دعا يزن ياسمين إلى حضور الدورة والمشاركة بها مع مجموعة من النشطاء، قبلت ياسمين تلقائياً الدعوة وحضرت بالاشتراك مع رشا وبعد انتهاء اليوم الأول من الدورة أصر يزن أن يقوم بإيصال رشا وياسمين فالوقت بات متأخراً، طلبت رشا من يزن أن يقوم بإيصالها أولا فكان لها ذلك، وصل يزن إلى الشارع المقابل لبيت ياسمين وشكرته على معروفه وغادرت، انتظري! بصوت خجول وكأنه يخاطب فتاة لأول مرة فرغم تجاربه الكثيرة مع النساء تعتبر هذه التجربة أول تجربة له يقودها إليه قلبه لاعقله، خاطبها قائلاً (بدي قللك شغلة خبط لزق) أجابته ياسمين لاعبة دور الفتاة الغبية التي لم تفهم سبب ارتباكه (تفضل؟) سألها يزن والخوف يخطف قلبه من جوابٍ رفض قد يحصل عليه في اللحظة التالية لسؤاله (إذا بعتت الحجة لعنكم بتستقبلوها ولا أنتي مخطوبة أو مرتبطة؟) توقعت ياسمين أن يصارحها يزن باعجابه بها أو حبه لها لكنها لم تكن تتوقع ماقاله لها فقد كانت الفتاة الملتزمة تجهز جواباً صاعقاً له عند أي محاولة تقرب تخرج عن عادات أهلها رغم اعجابها به الذي لاتستطيع انكاره، أجابته قائلةً (مابعرف!) بدا جواب

ياسمين ساذجاً بعض الشيء ولكنه بدهائها يدخل العشق إلى صلب عروق أعدائها فكيف حال شاب لايخفى عليها حبه لها، ابتسم يزن ورسمت إشارات التعجب فوق رأسه.

يعيش يزن الخبير في أمور النساء تخبطاً لم يشهده من قبل فرغم بساطة جواب ياسمين ودلالته الواضحة كان قد رسم في ذهن يزن ألف احتمال واحتمال، جلس يزن على الأريكة المقابلة للبحيرة الصغيرة في بيتهم العربي وعقله في كوكب اخر يفكر بالكلمة الواحدة التي اجابته بها ياسمين أما ياسمين وكعادة جميع الفتيات رفعت سماعة الهاتف وأخبرت رشا بتفاصيل الحديث الذي دار بينها وبين يزن، بدأت الصديقتان الدمشقيتان حديث النساء تحللان القضية تحاليلاً لم ترد في أكبر مراكز التحري في مؤسسات المخابرات العالمية.

جلست الحاجة أم يزن أمام ابنها الشارد في كواكب أخرى فهو الذي كان يتوقع أن يرسل والدته وهو واثق من أن ياسمين لن تعارض الخطوبة بات في شك من أمره، يأبى يزن أن تبوء أول تجربه له بالحلال على الطريقة التقليدية بالفشل.

لأول مرة في حياة يزن بدأ بمصارحة والدته بما يدور في داخله حول امرأة احبها وسرد لها الحديث الذي دار بينه وبين ياسمين، كانت تدرك الحاجة أم يزن أن ابنها قد غرق بهذه الفتاة أجابت ابنها ساخرةً (ماأحلاها وتقللك تعال وموافقة، في واحد بيسأل بنت هيك سؤال) ومن ثم طمأنته بأن جواب ياسمين يدل على أنها موافقة وبشدة وزادت بأنها امرأة وتعرف حيل النساء، ووعدته بأن تزور عائلة ياسمين خلال أيام قليلة بصحبة شقيقتيه.

بدأ يزن بالتواري عن أنظار ياسمين في الأيام التي تلت سؤاله لها، وبدأ بالخروج مع مجموعات لاتعمل معها ياسمين لكن ياسمين كانت تسمع اخبار

يزن من صديقاتها في تلك المجموعات ممابدا لها أنها قد خسرت يزن بسبب جوابها المتساذج، بدأت مرحلة حزن لم تكن بالطويلة.

أجابت ياسمين على رنين الهاتف في المنزل وإذ بوالدة يزن تطلب منها أن تكلم الحاجة أم أحمد، قفزت القطة الماكرة إلى المطبخ مخفية فرحة لاسابق لها عن أمها التي تقرأ عيونها دون الحاجة للتمعن، أخبرتها أن امرأة تطلبها على الهاتف.

دار حديث قصير بين الحاجة أم أحمد مع أم يزن وبدأت الحاجة أم أحمد تستفسر عن يزن من والدته والذي انتهى بتحديد موعد للزيارة.

نزلت ياسمين إلى السوق على غير عادتها وأشترت الحلويات والفواكه للضيوف فإكرام الضيف واجب ومن ثم دخلت المطبخ لتحضير العصير الطبيعي من اجل ضيوفها وكلما اقترب أحد اخوتها أو والدها من صحون الضيافة كانت تفتعل المشاكل وتحذرهم من أن يمدو يدهم قبل أن يذهب الضيوف، في المجتمع الشرقي والإسلامي يستفسر والد الفتاة عن أي شاب يتقدم لابنته وهذا بالضبط مافعله الحاج أبو أحمد فقد كان قد جمع عن يزن معلومات لم تكن لتجمعها أعتى فروع المخابرات فهذه فتاته المدللة التي يتمنى لها خير زوج يتمتع بأحسن الأخلاق، أخبر الحاج أبو أحمد زوجته أن تحرياته عن الشاب ايجابية فهو شاب ذات خلق رفيع ومثابر على عمله لكنه عنيد كما حال ابنته مماادخل الاطمئنان إلى قلب ياسمين فقد كان حدسها صائباَ وقد اختارت الرجل المناسب.

دخلت والدة يزن مع شقيقاته غرفة الضيوف واستقبلتهم الحاجة أم أحمد استقبالاً حاراَ بينما كانت ياسمين على المرآة تضع ماطاب لها من حلي وزينة من دون زيادة حتى لايبدو لوالدة يزن أنها فتاة خفيفة، دخلت أميرة الزيارة مع قهوة الاستقبال جلست على الأريكة المحاذية لوالدتها محافظة

على انضباطها كما هي أصول الزيارة، بدأت الوالدتان تتحادثان وطلبت الحاجة أم يزن أن تأتي مرة أخرى بصحبة يزن لرؤية العروس ولقاء الحاج أبو أحمد لكن المفاجئة كانت أن يزن اتصل بوالدته ليخبرها بأنه بالأسفل ويريد اذن الدخول ولقاء الحاج أبو أحمد، خرجت ياسمين ووضعت حجابها ودخل الحاج أبو أحمد والتقى بيزن مخاطباً إياه مازحاً (لك ليش بصلتك محروقة لك ابني) وفي ظل الحديث الذي يدور بين يزن ووالد ياسمين دخل فنجان القهوة محمولاً على يد فتاة تضع الكحل في عينيها السوداوتان الكبيرتان تصعقان مثل البرق الذي يضرب رؤوس الجبال من شدة جمالهما، طلب يزن من الحاج أن يحدد موعداً لقرائة الفاتحة في حال موافقة العائلة وياسمين، لم تمر جمعة واحدة حتى كان كلاً من العريسين واضعاً لخاتم الخطوبة على اليد اليمنى وهو ذات الخاتم الذي سوف يكون في تغيرات تاريخية في مستقبل ياسمين.

باتت أعمال يزن وياسمين الثورية أعمالاً مشتركة فتخلى كل منهما عن اصطحاب اصدقائه إلى معظم الأعمال حتى بات النشطاء يسمونهم بالتوأم.

اشتدت حدة العمليات العسكرية على مستوى عدة مدن سورية ضد المظاهرات السلمية في البلاد، خرج ثوار مدينة دمشق بفكرة جديدة وهي تلوين بحيرات دمشق بلون الدم تعبيراً عن بحر الدماء الذي تنزفه المدن السورية المنتفضة ضد نظام الاسد الابن.

انطلقت ياسمين صباح يوم الأحد إلى ساحة باب مصلى وانتظرت يزن الذي اخذ اجازة ساعية من العمل، التقى التوأمان وجلسو على اطراف بحيرة باب مصلى المنطقة الأمنية مقابل فرع الأمن الجنائي، وضع يزن مسحوق التلوين في مياه البحيرة الذي يتفاعل خلال دقائق لتصبح بحيرات دمشق في ساعة واحدة تدفق المياه بلون الدم، انطلق العاشقان بعيداً عن البحيرة حتى لايكتشف أمرهم، على بعد أمتار كان يقف ضابط مخابرات يرتدي سروالاً

أسوداً وقميصاً مزهر يبدو من لباسه أنه جديد العهد في العمل داخل العاصمة، أخذ الضابط يتابع خطوات ياسمين ويزن أحس يزن على الضابط ماجعله يسرع باتجاه الأزقة الفرعية خوفاً من انتباه الضابط لمسحوق التلوين، راح الضابط يتبع يزن وياسمين ولكن ماهي إلا دقائق حتى كانت البحيرة ملونة بلون الدم مماضطر الضابط للعودة للتحقق بالامر الذي يحدث داخل الساحة الأمنية.

حيدر هو الضابط المتطوع في فرع المخابرات الجوية يحمل حقداً طائفياً كبيراً من عزلته عن المجتمع السوري ولايفقه من المجتمع إلا أبناء قريته، نقل حيدر إلى العاصمة من أجل إلقاء القبض على الناشطين ومتابعتهم ولحيدر تاريخ إجرامي في المناطق المتوترة أرادت الحكومة السورية استغلال حقده لضبط الحراك القائم في العاصمة دمشق.

بدأت الآن مرحلة جديدة في تاريخ خطوبة ياسمين كتب عقد القران الشرعي ولم يعد فاصلاً بين زواج العاشقان إلا تثبيت العقد في المحكمة، كان مخطط ياسمين ويزن أن يكون عرسهما فور سقوط نظام الأسد بعرس ثوري في سوريا جديدة ديمقراطية.

اليوم الأول من أول رمضان يمر على الثورة السورية

مر اليوم حوالي خمسة شهور على بداية الثورة السورية وإلى هذه اللحظة لم يتمكن ثوار مدينة دمشق من التجمهر في ساحة من ساحات دمشق الرئيسية والاعتصام بها، يعد هذا الشهر فرصة ذهبية للثوار في دمشق ففي رمضان يصلي المسلمون صلاة التراويح في كل يوم مساء وتجتمع اعداد كبيرة من المدنيين مما يجعلها فرصة للتظاهر ضد نظام الاسد.

اجتمعت ياسمين ورشا ونيرمين بالاضافة إلى يزن وعمر ومراد بعد أول فطور رمضاني تحت الجسر الموجود على المتحلق الجنوبي لمدينة دمشق في حي الميدان الدمشقي وتقدم النشطاء بخطوات حذرة باتجاه ساحة السخانة الواقعة خلف أحد أشهر أسواق دمشق في المأكولات الشرقية، من المتوقع أن يحضر هذا اليوم أكثر من عشرة آلاف متظاهر من مختلف المساجد القريبة التي سوف يتوافد عليها المصلون والنشطاء وبالفعل توافد أعداد كبيرة من المتظاهرين كما كان متوقع وبدؤوا بالتوافد من الأزقة الفرعية للساحة تجمعت حشود المتظاهرين في ساحة السخانة وبدأت هتافات الحرية تملأ أجواء الحي، لم تمض أكثر من دقائق حتى بدأت القنابل المسمارية والقنابل المسيلة للدموع تنهار على المظاهرة من كل حدب وصوب وبدأت رشقات الرصاص من الوحدات الأمنية لفرع الأمن العسكري المعروف باسم فرع فلسطين الموكل بإخماد الثورة في حي الميدان، بدأت حشود المتظاهرين تلوذ بالفرار باتجاه الأزقة الفرعية ولكن بسبب الأعداد الكبيرة وهول الموقف بدا لياسمين وأصدقائها الموقف كأنها يوم القيامة داس الناس على بعضهم البعض محاولين الفرار من قبضة عناصر الأمن فكل من يلقى القبض عليه يعتبر في عداد الموتى أو في عداد المسجونين الذين لن يروا النور بعد ذلك الاعتقال، وجدت ياسمين طفلاً صغيراً جالساً بجانب أحد أعمدة الانارة تائه لايعرف أين أمه، أخذت الفتاة وأصدقائها الطفل ولاذو بالفرار بعيدا عن المنطقة ومإن وصلو إلى منزل يزن بدؤوا يبحثون عن أي أثر لعائلة الطفل الصغير، ساعتان من البحث لم يجد النشطاء أي سبيل لعائلة الطفل الصغير فجأة بدأت مآذن المساجد القريبة تنادي الناس سائلة عن طفل ضائع، ذهب يزن وياسمين وسلمو الطفل لأمه التي أخذت ابنها وراحت تحضنه ودموعها لم تتوقف من فرحتها بعودة ابنها فقد فقدته عندما ألقى القبض عليها احد العناصر وتعرضت لضرب

مبرح ولكن أحد الضباط المؤيدين للثورة أطلق سراحها بحجة أنها قريبة لأحد ضباط الجيش السوري ولا علاقة لها بمايحدث.

استطاع ثوار حماه من أن يتجمهروا في ساحات المدينة الرئيسية بعد مجزرة طالت اكثر من مائة وخمسين متظاهر في اليوم السابق كانو قد حاولو التجمهر في ساحة العاصي، بدأت الضغوط الدولية على نظام الأسد من أجل حماه فتلك المدينة الجريحة تعرضت لمآسيء كثيرة لايعلمها إلا الله في الثمانينات من القرن الماضي وبالفعل استقبلت فروع الأمن والشرطة برقيات بالتزام المقار الأمنية والحكومية وعدم الاقتراب على المتظاهرين، مما اعطى النشطاء فرصة لأول مرة أن يتجمهروا في قلب المدينة الجريحة بدأت حشود هائلة من مدينة حماه وريفها تزحف إلى ساحة العاصي وبدأت أغاني الثورة تصدح على مواقع التواصل الاجتماعي على تراتيل أغاني ابراهيم القاشوش الذي شكل تحدياً كبيراً للرئيس الاسد بسبب غنائه الساخر من الرئيس وحكومته، لم يمض إلا أسبوع واحد حتى كانت الدبابات محيطة لمدينة حماه واستعادت المدينة التي لم تتعافى جراحها ذكريات مجازر الثمانينات وأصوات القذائف التي انهالت عليها من المحاور الأربعة، أتت الأوامر بالقاء القبض بأي وسيلة كانت على ابراهيم القاشوش وقطع حنجرته التي تحدت الرئيس الأسد الابن مباشرة من دون خوف حتى أن اغانيه اصبحت فيما بعد منهجاً تؤلف عليه الاغاني الثورية في جميع المدن السورية.

أدت هذه التطورات إلى قناعة بدأت ترسخ لدى معظم الشباب الثوري وهي ان نظام الحكم في سوريا لاسبيل لاسقاطه إلا بالثورة المسلحة.

١٥ رمضان العام الأول للثورة

انطلق يزن بسيارته التي ترافقه فيها ياسمين إلى جبل قاسيون حيث تستطيع أن تراقب أول عاصمة في التاريخ من سفح الجبل المطل عليها ويمثل هذا الجبل الوجهة الأولى لمعظم العاشقين، أعطى يزن فتاته علم الاستقلال السوري الذي بات يمثل علم الثورة السورية في مواجهة علم النظام الرسمي، لفت الفتاة العلم الصغير حول معصمها فهذا العلم يمثل لها حلم بلادها الذي أخذته من أعز الناس على فؤادها، قال يزن لياسمين بأن المرحلة المقبلة سوف تشهد غياباً ليزن فقد قرر الانضمام للثوار المسلحين في الغوطة الشرقية بعد انتهاء العيد القادم بأيام، توقعت ياسمين مسبقاً ان يتخذ يزن هذه الخطوة فقد كانت تدرك أن الشاب الثائر لن يستطيع القبول بما يجري من قتل دون أن يواجهه.

قررت حينها ياسمين بأن تتابع الدورات الاسعافية المتقدمة والمشاركة في تجهيز وحدات طبية داخل دمشق، يعلم يزن بأنه لايستطيع أن يمنع تلك الفتاة العنيدة رغم أنه كان يحاول في المراحل السابقة أن يربط نشاطها الثوري تحت وصايته خوفاً عليها من أي تهور قد يودي بها إلى أقبية المخابرات التي لا تميز بين شاب وفتاة في أساليب التعذيب، طلب يزن من ياسمين أن تستشير مراد وعمَر في أي عمل او أي جهة تفكر في العمل معها في فترة غيابه.

الأمل هو العنوان الرئيسي لياسمين فقد كانت متفائلة بما تبقى من أيام من شهر رمضان متأملة أن يستطيع ثوار دمشق التجمهر في ساحة الأمويين وتغيير المعادلة فالأيام الباقية من رمضان قد تضمن لها بقاء الشاب الذي بات يمثل المعادلة الصعبة للفتاة التي لم يعد لديها رابط مع الحياة في ظل الظلم الذي يتعرض له السوريون إلا هذا الشاب.

٢٧ رمضان الاول للثورة السورية

اجتمعت ياسمين ويزن بعد صلاة التراويح وذهبوا إلى جامع الرفاعي في حي كفرسوسة في دمشق من أجل حضور محاولة اعتصام تنطلق من المسجد إلى الساحة الرئيسية المجاورة له، لكن المفاجأة كانت عند وصولهم إلى المنطقة فقد كانت جموع الأمن السوري مطوقةً للمسجد من جميع المداخل كما كان أهالي المصلين أيضاً يفاوضون الأمن السوري من أجل اخراج ابنائهم المحاصرين في المسجد يشكرونهم ويمدحونهم في سبيل اقناعهم باخراج الشباب والنساء المحاصرين، سألت ياسمين الضابط (ليش ماتخلوهن يطلعو) فهم الضابط أن ياسمين تستفسر عن سبب منعهم للمتظاهرين من التظاهر فأجابها بلؤم كتحذير مسبق للاعتقال(إذا خليناهم يطلعو لهدول بيطلع الشعب كله جربناها بحماه ودرعا) أجاب يزن شارحاً للضابط أن ياسمين تقصد أن يسمحو لهم من الخروج من المسجد لا أن يتظاهرو ضد نظام الحكم، اجاب الضابط أنهم يملكون الأسلحة فسألته ياسمين باستفزاز حول نوعية الأسلحة فاجابها حجار وعبوات شراب زجاجية، ضحكت ياسمين ضحكة ماكرة، مرت دقائق قليلة وأمر الضابط عناصره المنتشرة بأن يبعدو الأهالي من حول الساحة ، بدأ العناصر بالانتصاض لكن الفتاة العنيدة أصرت أن تبقى مماضطر يزن بأن يسحبها بالقوة، أخذت ترد نفسها من أجل أن تعود وكأنها أصيبت بالجنون لكن ياسمين كانت ترى بقاء عشيقتها في دمشق من خلال نجاح ذلك الاعتصام فماهي إلا أيام قليلة وينتهي شهر رمضان وقد يبتعد عنها إنسان يمثل لها القوة والحنان والشهامة والمروءة، كانت ترى ياسمين في يزن خليطاً قد يصعب أن تجد مثله الكثير من الرجال وقد التمست معدنا اصيلاً من الصعب التماسه إلا في الثورات أما بالنسبة ليزن فقد كان يسحبها إلى درجة أنه اضطر إلى حملها، كان يدعو دائماً الله أن يجعل يومه قبل يومها فقد علمته ياسمين بصدقها وبرائتها درسا في العشق لم يكن يخطر بباله أن يأتي يوماً ويخوض درساً مماثل.

انتهى شهر رمضان وانتهت اجازة العيد منذ حوالي اسبوعين وبدأت الابتسامة تعود إلى وجنتي ياسمين التي قضت طيلة فترة العيد تواسي دموعها على الفراق الذي سيحدث فور انقضاء العطلة مع يزن، ولكن تأجيل ذهاب يزن لعدة مرات أعطت ياسمين شعوراً بالامل بأن يبقى الشاب الذي تحب في دمشق.

في زيارة مفاجئة دخل يزن على ياسمين وأخذ يقول لها حلو الكلام وحيله المعتادة، ويزن الذي لم يقبل ياسمين سابقاً رغم أنه كتب عقده الشرعي طلب منها قبلةً من وجنتيها فأجابته (يخرب بيتك عيب) فأجابها ساخراً (يخرب بيتك انتي مرتي بشرع الله) فأجابته (ايه اذا هيك معلش) أطال يزن قبلته لياسمين وقال لها أن تدعو له فهو ذاهب إلى الغوطة فأجابته بأنها سوف تدعو له إذا ذهب محاولة عدم تصديق ذهابه، عانق يزن قطته المدللة وقال لها أنه منطلق الآن وطلب منها الدعاء، ادركت ياسمين سبب الزيارة المفاجئة واستيقظت من الحلم مصطدمة بالواقع فالنظام يقتحم قرى في الغوطة وعلى يزن أن يشارك في رد العدوان.

أصيبت ياسمين بحالة من السكون ولم تعد تدري ماذا تقول، تغير فجأةً لون وجه ياسمين إلى اللون الشاحب حمل يزن حقيبته الصغيرة وراح معانقاً اياها مرة أخرى ومتجهاً نحو باب المنزل، ردة فعل غريبة حولت ياسمين إلى لبوة تدافع عن مواليدها الجدد من عدو يتربص بهم، انطلقت ووقفت في وجه الباب وقالت ليزن بأنها لن تسمح له بتركها والذهاب إلا إذا رافقته أو أنه يستطيع أن ينتظر حتى يتقدم الجيش الحر إلى دمشق وعندها يقوم بالانضمام إلى صفوفه، تشبثت بالباب حتى أن عروقها بدأت بالظهور على معصمها الناصع، لم يستطع يزن أن يمنع دموعه من التناثر من ردة فعل ياسمين فهو يحلم بأن يمضي حياته معها دون ان يفارقها ولكن الأمر أكبر بكثير من الرغبات، عاد يزن إلى الأريكة وراحت ياسمين تحثه على العدول

عن هذا الأمر، اتجه يزن فجأةً باتجاه الباب خارجاً من المنزل وطالباً منها الدعاء، ظلت ياسمين حوالي الأربعة ساعات على الأريكة وكأنها منصدمة سارحة في عالم آخر لاتفكر إلا بأحلامها الوردية لحظة عودة يزن وأخذت تدعو الله أن يعيده إليها سالماً معافى.

٢٠١١-٩-١٩

مضت فترة من الزمن على مضي يزن إلى الغوطة ولم تكن هذه الفترة بالهينة على ياسمين حتى أنها باتت مقصرةً في حراكها الثوري التي كانت تربط معظم أعمالها به بالاشتراك مع يزن فقد شكل ابتعاد يزن عنها وقلة تواصله معها هالة من الحزن باتت واضحة على وجهها البريء.

استيقظت الفتاة الجريحة في الصباح لتجلس بين يدي الحاجة أم احمد مستمعة لآخر أخبار الحاجة من المنامات التي سمعت بها الحاجة أم أحمد وصديقاتها عن نصر قريب سوف يزور سوريا والتي تبشر به جميع أفراد الأسرة وخصوصاً ياسمين، لم تكن ياسمين تؤمن بمعظم الأحلام فقد كانت ترى أن معظم الأحلام تكون نتيجة الضغوط النفسية والأماني التي تدور في خاطر عقول الناس في هذه الحرب القاسية ولكنها كانت تنفس عن نفسها بسماع روايات الحاجة أم احمد التي وبعد هذه الحرب القاسية لاتنفك عن تبشير الجميع بأن النصر قريب وأن سوريا الأسد ستزول لتبقى سوريا رغم أن ياسمين فتاة مثقفة ولاتؤمن بمعظم الأحلام لكنها كانت تاخذ جرعة من الأمل من والدتها الحاجة أم أحمد فسابقاً أخذت جرعة من الأمل كبيرة على أن النصر سيأتي في رمضان السابق من بشرى الحاجة أم أحمد ورغم خيبة أمل ياسمين كانت تحب الاستماع للحاجة أم أحمد فلايوجد في هذه الحرب القاسية أجمل من حلم يعطيك شيئاً من الأمل.

اتصلت ياسمين بعمَر وطلبت لقائه بعد فترة من السبات ليست بالقصيرة استطاعت القطة الصغيرة أن ترمم جراحها والعودة إلى سابق عهدها حتى انها كانت توبخ نفسها مستهزئة من ضعفها (لقد ذهبت من اجلنا جميعاً فهل أضعف لمجرد أنك ذهبت، ساتابع الطريق وسنلتقي).

على الشرفة المطلة على فسحة رائعة من دمشق سمعت ياسمين صوت المؤذن من المسجد المحاذي لمنزلها في وقت صلاة الظهر، كان صوت المؤذن يزرع بالروح الأمل وقد أعطى ياسمين جرعة قوةٍ كبيرةٍ وكأنه صوت من السماء يقول لها تابعي فليس للنوم وقت عند الثائرات.

على هدير قطرات الماء المتناثرة في إحدى مقاهي دمشق القديمة أخبرت ياسمين عمَر عن عزمها حضور عدة دورات في الاسعاف المتقدم إحداها لدى تجمع تعمل فيه لويز يسمى بالتجمع الحر والمشرف على الدورة شاب يدعى محمد الدمشقي وأخرى تقوم به مجموعة أخرى تسمي نفسها تجمع ثوار دمشق أما الدورة الأخيرة من قبل تجمع يعتبر يمنياً، حذر عمَر ياسمين من الذهاب إلى الدورات التابعة للتجمع الحر واليميني ونصحها بحضور الدورة التدريبية التي يقيمها تجمع ثوار دمشق فالتجمع الحر يعد تجمعاً يسارياً متطرفاً وبوجهة نظره ينظر أعضاء هذا التجمع إلى الفتاة كقطعة من اللحم ومعظم من يرتاده لديه عقلية تقصي كل من يفكر بوجهة نظر غير وجهة نظره ورغم أن الدورة الطبية هي دورة انسانية بحتة لكن عقدة محمد الدمشقي القائم على الدورة لاتكتف من الاستهزاء بالديانات ومقدساتها أما بالنسبة للتجمع اليميني فأحد شروط دخول الدورة هو أن تكون الفتاة مسلمة محجبة ويمنع أن يدور بينها وبين أي شاب أي حوار فصوتها عورة ويحاولون زرع أفكارهم من خلال دوراتهم وأيضاً يعملون على اقصاء أي طرف آخر، اما بالنسبة لثوار دمشق فالقائم على الدورة التدريبية طبيب لاتوجه سياسي له وهو رجل ملتزم ويحترم الفتاة على انها

عنصر فاعل في المجتمع ويلتزم حدود الأدب في علاقته مع طلابه ، قال عمر لياسمين أن لويز هي حسب اعتقاده قد تكون من العناصر القليلة الشريفة في التجمع الحر، حتى أنها باتت عند انكشاف أوراق هذا التجمع على وشك أن تتخلى عن عضويتها به.

فهمت ياسمين ماهية هذه التجمعات ولكن الفتاة المغامرة تحب الاستكشاف والتأكد ممايقول عمَر، خططت أن تزور وصديقاتها التجمع اليساري واليميني ولكن التجمع اليميني لايقبل بوجود لويز مما جعلها تقرر الذهاب إلى الدورة التدريبية التي يقيمها التجمع اليساري لكي تقرأ أفكاره.

٢٠١١-٩-٢٨

انطلقت الفتيات إلى عيادة سرية في إحدى ضواحي دمشق لحضور دورة التجمع الحر كتجربة ليوم واحد، عرفت لويز ياسمين ورشا على محمد المشرف على الدورة التدريبية، مد محمد يده لمصافحة ياسمين فصافحته، أعرب محمد عن استغرابه فالفتيات المحجبات لاتصافحن وعادة مايكون لديهم من العقد الاجتماعية الكثير أجابته ياسمين أنها لاتجد حرجاً دينياً بالمصافحة ولو كانت تجد حرجاً دينياً لن تصافحه وسوف تكون مفتخرة بذلك، بالنسبة لرشا فهي تجد حرجاً دينياً بالمصافحة وهي بالفعل مفتخرة بذلك فعندما مد محمد يده لمصافحتها اعتذرت منه بأدب وقالت له (عذرا لاأصافح الرجال) سرت ياسمين بتصرف رشا الذي بدا لها أنه كما قال لها عمَر لايحترم الخصوصيات للديانات ويستهزء من مقدساتها، دار بين لويز ومحمد نقاش جانبي تحول إلى سجال واختلاف في وجهات النظر وقد بدا الإنزعاج واضحاً على وجه لويز، أعربت لويز عن انزعاجها من كلام محمد الاستهزائي مع ياسمين ورشا وخصوصاً ردة فعله عندما لم تتقبل رشا مصافحته وقالت له بإنزعاج أنها هي الفتاة المسيحية تحترم خصوصية صديقتيها الدينية وهو الشاب المسلم لايحترم هذا متعجبةً عن أي حرية

ينادي، استهزأ محمد من لويز وقال لها أن ياسمين بدأت تؤثر عليها سلبياً.

في تلك اللحظات كانت لويز قد حسمت أمرها بالفعل فقد قررت الانفصال عن التجمع، أجابته أن المرأة ليست خرقة يستخدمها أمثاله للتلذذ بجمالها لنزواته التافهة وأنها قد ضاقت ذرعاً من امثاله وأنها تحترم ياسمين ورشا الفتيات اللواتي استقبلنها على اختلافها الفكري والديني ومجتمعها المختلف علىن المجتمع الخاص بهما ورغم ذلك لم تشعر أبداً بالفرق في جلساتها معهم وقالت له بأن ياسمين خاصة تملك من الشجاعة والحرية والجرأة مايكفي لتوزيعه على مجرة مليئة من الأحرار لا من قصيري النظر ممن يرون الحرية تأتي بلباس معين او طريقة الترحيب (قد حولتم الحرية لدين له أحكامه وتقاليده، أما نحن فحريتنا هي احترام كل من لايعتدي على المقدسات الدينية والفكرية لأي انسان) أنهت لويز الجدال مخطرةً محمد بأنها سوف تحضر درس اليوم لكي يبدو كل شيء طبيعي.

في هذه اللحظات كانت ياسمين تدرس كيفية الرد على الإهانة التي تعرضت لها هي ورشا وقررت أن تتم درس اليوم من أجل رد اعتبارها.

اعتذرت لويز لياسمين ورشا واتفقت الفتيات أن يكملوا الدرس الأول وأن لايعودو ثانية وأن يسيرو على نصيحة عمَر بالذهاب إلى الدورة التي يقيمها ثوار دمشق.

ابتدأ محمد الطالب الجامعي درسه بالترحيب بالنشطاء وأخذ يحيي جهود النشطاء في محاربة النظام ويعطي لهم النصائح العملية في حال إصابة أحد أمامهم وماهي الاجراءات التي يجب أن يقومو بها وأخذ يسترجع معلومات الدورات الابتدائية للإسعاف، حاول محمد دس السم بالعسل مستشهبا بمثال ملامسة الممرضة ليد مصاب أو قياس حرارة جسمه، مشيراً أن هذا قد

يكون مشكلة لياسمين مثلاً، قاطعته رشا مجيبة (الضرورات تبيح المحظورات) وتابعت ياسمين (قدمت هنا وكنت قد حذرت من عقليتك المتجمدة ونظرتك السطحية للأمور ولكني كنت مصرةًعلى الحضور حتى لايبقى شك من أني أسأت فهمك انت وأمثالك، أما حريتك التي مافتئت تصدع رؤوسنا بها نحن أول من طالبنا بها فإذا كانت حريتك تعني شكلاً معين أو لباساً معين فلتخرجو لها صلاة معينة ولتولو عليكم أكثركم معرفة بماترنون إليه، فالحرية بالنسبة لنا هي أن نتقبل جميع الناس على مختلف عاداتهم وأديانهم)

انطلقت الصديقات الثلاث بعد أن أصبح الجو متوتراً ولابد لهن الخروج من مهزلة كهذه، كان باستطاعة ياسمين أن تأخذ ماقاله أحمد بروح مرحة وتقبله كما كانت تفعل قبل الثورة ولكنها كانت دائماً تقول (علمتني الثورة أن أدافع عن معتقداتي الفكرية والدينية فمن لايدافع عن الحق لايستحقه)

في طريق العودة اعتذرت لويز لياسمين عما حصل، أكدت ياسمين بأنها كانت تدرك أن هذا الامر سوف يحدث فلاذنب للويز بماحصل وأخبرتها بأن عمر أخبرها أنها تعلم بأن لويز تريد مغادرة التجمع الذي لاترى فرقاً بينه وبين اليمين المتطرف.

لويز هي الفتاة التي تحلم ببلاد يحترم فيها الناس أفكار بعضهم ويكون الاختلاف الفكري حق للإنسان دون الاعتداء عليه، فقد تظاهرت سابقاً عند اعتقال أحد النشطاء اليمينيين رغم اختلافها معه فهي تعتبر أن الحرية حق لكل انسان مالم يعتدي على حقوق الاخرين.

رحب الدكتور أحمد بالثوار والثائرات المشاركين في الدورة التدريبية التي يقيمها تجمع ثوار دمشق، يتميز الدكتور أحمد بخبرة عملية كبيرة وإقبال كبير على العمل بأي مكان تشتعل فيه نار المواجهة ضد النظام وقد أشرف

الطبيب الشاب على العديد من الحالات الصعبة في ظروف صعبة ابتداء من درعا مروراً بحمص وحماه ومإان يشتعل الفتيل في أي مدينة يكون من أوائل الكوادر الطبية ويحمل مسدسه في كل جبهة مشتعلة ويساعد الثوار في الاقتحامات ويقوم بالإسعافات الميدانية في ظروف لاقدرة للكلمات على وصفها بإنصاف، اعتقل الطبيب الشاب عدة مرات في بداية الثورة استطاع أن يحتال على الأمن السوري أو أن يعقد صفقات مع أحد الضباط من خلال دفعه مبلغاً من المال للخروج من براثم الاعتقال، تبين لياسمين معرفة الدكتور أحمد بيزن معرفةً وثيقة وأخبرها الطبيب الشاب بانه كان برفقته منذ عدة أيام بالغوطة وأخبرها عن شجاعة الشاب الذي تحب ولم يخفى على الدكتور أحمد المشاعر التي تكنها الثائرة الجميلة لصديقه يزن، لاتصدق من يقول أن العاشق يستطيع اخفاء مشاعره فبريق العيون يستطيع ان يفضح أكبر المحتالين والدهاة إذا ماأصيبت قلوبهم بهذا المرض المزمن.

تلقت الفتيات دروساً مكثفة بإشراف الطبيب المخضرم وعرضت ياسمين ورشا ولويز أن يشاركن في إيصال المساعدات الطبية إلى غوطة دمشق، لم يستطع الدكتور أحمد إلا ان يقبل بعرض الثائرات واتفق معهم على أن تقوم لويز وياسمين بايصال المساعدات لثوار الغوطة الشرقية ورشا وعمر يعملون على ايصال المساعدات إلى الغوطة الغربية.

٢٠١١-١٠-١٥

تشييع مهيب يجري الآن في حي الميدان الدمشقي من أجل طفل قتلته قوات الأمن بإطلاق النار على تظاهرة في حي القدم في يوم الجمعة والذي أقام النشطاء من أجله دعوة علنية لحضور التشييع لطفل راح ضحية السلطة التي ترى في ضحكته والدته أغلى من أعلى سلطة على وجه المعمورة، اجتمع مايزيد عن ثلاثين ألف متظاهر في سوق أبو حبل داخل حي الميدان الدمشقي لحضور التشييع وهو مالم تتوقعه الاجهزة الأمنية ممادفع الضابط

المسؤول إلى طلب مؤازرات ووضع خطة لفض التجمع الذي قد يتحول إلى اعتصام من الصعب فكه، تقف ياسمين برفقة عمَر ورشا لأول مرة لمدة تزيد عن ساعة على الشارع الرئيسي لسوق أبو حبل بحضور عشرات آلاف المتظاهرين متحدين الجهاز الامني لنظام الاسد، بدأ المتظاهرون بالتخطيط لتحويل التشييع لاعتصام سلمي قد يحافظ في حال نجاحه على المحافظة على سلمية الثورة وهذا الذي لم يكن خياراً مقبولاً للضابط الموكل بعدم السماح لأي تجمع بالتظاهر حتى لو اضطر إلى سحقه، أدت فرحة النشطاء بالتجمع إلى ردات فعل كثيرة لهذا الانجاز، فجأة وقف احد النشطاء في منتصف السوق وراح يصرخ بأعلى صوته (صرلي سنة عم اشتغل نشان تحسنو توصلو لهون لاتضيعو تعبي) ضحك عمَر على كلام الشاب الذي يدعى همام وكذلك فعلت ياسمين ورشا، لم يكن ضحك الثلاثة الاستهزائي من همام نابع من فراغ فقد كان بسبب معاناة من آفة جديدة بدأت تظهر على بعض النشطاء بعد مايقارب التسعة أشهر على الثورة فالظاهرة الجديدة التي باتت تصيب بعض النشطاء من شعور يختلج عقولهم على أنهم التيار الثوري الوحيد أو الأشخاص الثورية الوحيدة أو الأكثر فعالية في الثورة والتي تقوم بالعمل على الأرض من دون إدراك بأن الصمود الأسطوري للثورة السورية سببه تكاتف الجميع وإصرارهم على مواجهة نظام الاسد بدأت هذه الظاهرة تفرق بين الأخوة وبدأت بسببها التنسيقيات والكيانات الثورية تنقسم فيما بينها وتنشر مقاطع التظاهرات بشعارات مختلفة وباتت المجموعات التي كانت بالسابق تعمل ضمن فريق واحد تحاول إنكار مجهود المجموعات الأخرى مماجعل هذه الظاهرة تشكل مشكلةً واضحة على الساحة الثورية، أحياناً يتعرض أحد النشطاء لموقف خطير يواجهه بعمل بطولي أو جريء مماجعل النشطاء الآخرين يمدحون بطولته وموقفه المشرف الذي قد يوصل الناشط في حال وجود عقدة نقص قديمة لديه إلى مرحلة الغرور وأحيانا النرجسية مماجعل من الناشط أداة يتحكم بها غروره الذي يخاف

أن يفقد السمعة الحسنة التي حصلها بسبب مشاكل قد يكون من الممكن أنه كان يعاني منها من قبل بدء الثورة من ضعف في الشخصية أو من ضعف في العلاقات الاجتماعية مماجعله يسعى جاهداً لكي يكون له وجود وأثر بين أصدقائه بطريقة جنونية، أصابت الآفة التي باتت تشكل حملاً ثقيلاً على النشطاء بعض أصحاب الصفحات الثورية التي تحاول إبراز قوتها بعدد الاعجابات والمشاهدين لتلك الصفحات لدرجة أنهم كانو يحاربون أي مشروع لايتم طرحه عليهم ويرفضونه، لم تعد القضية قضية منافسة بل أصبحت قضية عض للأصابع لدرجة أن بعض النشطاء أصبحو ينشرون دعوات للمظاهرات السرية على الصفحات العمومية من أجل إفشالها لأن منظم التظاهرة يتنمي لمجموعة أخرى.

اقتحم الأمن شارع ابو حبل وبدأ باستهداف التجمعات بالرصاص الحي وملاحقة الناشطين والمتظاهرين في الأزقة الفرعية مماأسقط حلم المتظاهرين بتنظيم اعتصام قد يحافظ على سلمية ثورتهم.

اتصل أحد الداعمين للثورة ممن يقدمون المساعدات الإنسانية والطبية بهمام واستفسر منه حول المجموعة التي يعمل بها عمَر وياسمين، بدأ همام بالتحدث بشكل سلبي عن هذه المجموعة التي كانت من أقوى المجموعات الفاعلة في دمشق واتهم همام يزن المقيم هذه الأيام في الغوطة ببيع المساعدات الطبية التي تأتيه مقابل المال واتهم المجموعة بانها مجموعة غير فاعلة إلا على مواقع التواصل الاجتماعي كما شكك بأخلاق ياسمين واتهم مراد بأنه قد يكون عميلاً للأمن كمحاولة منه لتشويه صورة المجموعة التي يعتبرها منافساً له، كان همام يصدق كل كلمة يقولها رغم أن معلوماته كانت عبارةً عن اتهامات لم ينطلق منها إلا من أوهامه أو من صورة لم يرى منها إلا مأأراد ان يرى فالسيارة التي يملكها يزن من قبل بداية الثورة تمثل لهمام سيارة ابتاعها من اموال سرقها من المساعدات التي تأتي

للعائلات من أجل أن يقنع نفسه بأن معركته ضد يزن والمجموعة معركة ذات حق وتحافظ على الثورة، في باطن همام وشعوره اللاإدراكي كان يحاول أن يحول مصادر الدعم اليه التي يرى بأنه هو الشخص الأنسب والاكثر قدرة على استهلاكها في الأماكن المناسبة نتيجة حالة النرجسية التي توصل إليها هذا الشاب، ألغى الداعم شحنة من المساعدات الطبية كان من المفروض لعمر أن يستلمها ويرسلها إلى يزن على دفعات ليتم تسليمها للدكتور أحمد، علمت ياسمين سبب إلغاء إرسال الشحنة فقدمت للداعم براهين وأدلة تثبت أن اتهامات يزن لفريقها كان مبنياً على معلومات وهمية لاتدري لماذا يحاول ترويجها ممأأدى إلى إعادة إرسال الشحنة وتدارك المشكلة، لم تكن ياسمين مضطرة إلى هذا العمل المهين وأن تتهم وفريقها بأخلاقها وبالسرقة لكن الأمر أكبر بكثير من المشاكل الطفولية التي ارتكبها الكثير من الكبار قبل اليافعين، سأل الداعم ياسمين عن همام وفريقه فاعتذرت عن الاجابة مبررةً ذلك بأنها لن تكون منصفة بعد ماسمعته باتهامات بحقها ولكنها أكدت له بأنها على اتصال ببعض العائلات التي يساعدها همام اغاثياً.

شعرت ياسمين بحالة من الإحباط في ذلك اليوم بسبب النزاع الذي بات واضحاً على الساحة في الحراك السلمي الذي لم يكن موجوداً بهذه الكثافة على المستوى العسكري في تلك الآونة الذي كان بحالة التوسع في تلك الآونة.

تفتح الثورات الباب واسعاً أمام جميع فئات المجتمع للمشاركة في التغيير مما يبرز أجمل مافي الشعوب من صفات إيجابية ويبرز أيضاً الأمراض التي يعاني منها المجتمع لتوضع بين يدي الفئات الرائدة لإيجاد عقاقير العلاج لها، الثورات لاتصنع الأخطاء أو الجرائم لكنها تبرزها وتبرز المعدن الباطني للمجتمع مما يجعله في متناول جميع أفراد المجتمع فإذا تمركزت الفئات

الرائدة في أي مجتمع من علماء دين ومثقفين ووجهاء من المخلصين داخل العاصفة من أجل إيجاد الحلول المناسبة لهذه الامراض والوقوف في وجه الانتهازيين والمجرمين وردعهم عن امتطاء الفرس الثوري فعندها لابد أن تكون النتيجة الحتمية بأن تؤدي الثورة إلى حالة إعادة تكوينٍ للمجتمع لكافة فئاته فالشعوب في الثورات تستطيع الانتقال إلى حالة نهضوية تعمل مثل آلة جبارة تبني حضارة شامخة بإتقان منقطع النظير كما أنها في حال سقوطها بيد من لايستحقها سوف تتحول إلى كتلة من النار التي تأكل أبنائها.

٢٠١١-١٢-٢٨

الحاج أبو يزن يصطنع المشاكل كل ماسنحت له الفرصة يتصل بشقيقات يزن ليسأل عن تواصل يزن مع أخواته، لقد سمّى ابنه على اسم أخيه الذي استشهد في مقاومة الثمانينات لنظام الأسد الأب، تأتي الاخبار من الغوطة الشرقية في بلدة دير العصافير حول معارك كبيرة تجري هذه الأوقات بين مجموعات الثوار وقوات الأمن والجيش، يقوم النظام باستهداف المدينة بعشرات القذائف والصواريخ ففي تلك المدينة يقيم يزن ويعمل في مواجهة جيش الحكومة السورية، تتالت الأنباء عن سقوط أعداد كبيرة بين جريح وشهيد، تتصل ياسمين كل وهلة من أجل أن تستفسر عن يزن في حال تواصل مع اهله والحاجة أم يزن تكاد لاتعرف ماذا تفعل من أجل إخماد نار العاشقة ونار الحاج ابو أحمد والخوف يخطف قلبها على ابنها الذي يخوض معاركاً تعد من أكبر معارك الغوطة حتى ذلك الحين، لم يكن للحاجة أم يزن إلا أن تصلي وتقرأ القرآن تدعو الله بأن يحمي ابنها ورفاقه.

تقوم ياسمين بتحديث صفحتها بشكل متواتر على موقع التواصل الاجتماعي عسى أن تسمع أي خبر عن يزن ومن معه، تقضي الساعة تلو الأخرى وكل ماتفعله هو الضغط على أمر إعادة تحديث الصفحة أو تقوم بطلب رقم منزل يزن ، وصلت رسالة على حسابها من الدكتور احمد يطلب منها أن تحضر من مستودع الأدوية السري مجموعة من العقاقير المخدرة والشاش الطبي وأن تحضر أكبر كمية تستطيع اخفائها في السيارة التي سوف يقوم بتجهيزها مراد الذي سوف يقلهم إلى الى مكان تواجد الدكتور أحمد، ركبت ياسمين ولويز في السيارة حوالي الساعة الحادية عشر ليلاً بعد أن وضعو في السيارة ماتيسر لهم من العقاقير المخدرة للعمليات الجراحية.

في الطريق على المتحلق الجنوبي لمدينة دمشق تمر ذكريات الثورة التي اقتربت أن تبلغ شهرها العاشر، الآن مرحلة جديدة في حياة ياسمين ولويز وهذه ستكون أول رحلة ميدانية طبية في ظروف استثنائية للفتاتين، بدأت تتوهم بأنها سوف ترى يزن في أحد الأسرة، لم يكن يخفى على مراد ماتفكر فيه الفتاة التي تركن على يمينه وهي تطبق أسنانها بقوة وتنظر نظرة حادة بعينيها وكأن النار تشتعل في تلك العينين الكبيرتين.

بدا لياسمين أن الطريق على المتحلق الجنوبي باتجاه الغوطة طويل جداً رغم قصر المسافة، لكنها كانت مثل زوجةٍ عاشقة تفتح البراد في المشفى للتعرف على جثة زوجها الذي توفي نتيجة حادث على هذا الطريق السريع، دخل مراد من أحد الطرق الفرعية كي لايصطدم مع الحاجز المنصوب على جسر الكباس أحد البوابات الرئيسية التي تربط الغوطة بالعاصمة، بعد حوالي مائة وخمسين مترٍ تفاجئ الثلاثة بحاجز طيار أقامه عناصر من المخابرات الجوية بوجود حيدر حيث يجلس مع أحد الضباط الآخرين على الرصيف المقابل ويدخن بالأركيلة ويضع يده اليسرى على بطنه المنتفخ والآخرى يحمل فيها صنبور الأركيلة ويلعب بالشعر الكثيف على صدره من فتحة

قميصه الملون، أوقف أحد العناصر السيارة وذهب باتجاه مراد يسأله مستفسراً (مالذي أتى بكم إلى هذه المناطق في هذا الوقت المتأخر من الليل) أجابه مراد أنه يريد إيصال الفتاتان إلى بلدة عين ترما المجاورة، طلب الهوية وقامت الفتيات ومراد بتسليم الهويات الشخصية للعنصر، قام حيدر الذي انتبهت له ياسمين وهو جالس على كرسيه ليفتش السيارة واستلم الهويات من العنصر، اعتقدت ياسمين أنها لحظة اعتقالها فحيدر رآى ياسمين في عدة تجمعات ثورية وحاول كثيراً أن يتتبعها، وضع حيدر صنبور أركيلته وتوجه إلى السيارة التي تقل الثلاثة قبل بضعة أمتار انتبه الضابط حيدر على هوية الشابة المسيحية ونظر إلى لباسها فعاد إلى كرسيه وأمر العنصر بتسليمهم الهويات فتلك الفتاة لايبدو عليها أنها سوف تتورط بالثورة كما يظن، تنفست ياسمين الصعداء وانطلق الأصدقاء باتجاه الغوطة الشرقية.

سلك يزن طريقه بين البساتين التي لاتدخلها قوات الاسد ليلاً، حتى وصل إلى منزل الحاج أبو سليمان، استقبل الحاج أبو سليمان زواره أحر الاستقبالات وانطلق بهم بشحانته الزراعية بين بساتين الغوطة حتى وصلو إلى مزرعة نائية تبدو أن الإنارة مقطوعة فيها ، أعطى الحاج أبو سليمان الاشارة السرية للبواب فأدخله ونزلت ياسمين التي لم تتوقع يوماً أن تعيش لحظات كهذه في حياتها التقليدية مابين مقاعد الدراسة والرحلات الاعتيادية وزيارات العائلة، نزل النشطاء إلى الطابق السفلي حيث يوجد مجموعة من الأسرة التي لم تكن تكفي الجرحى الممتدون على الأرض منتظرين دورهم للعلاج، الأطباء والممرضين يسرعون من سرير إلى آخر يسعفون ماستطاعو أن يفعلو كان الجو متوتراً وأوامر الدكتور أحمد ترن أنحاء الغرفة الاسعافية، قدمت ياسمين للطبيب الشاب العقاقير التي استطاعت تأمينها وانطلقت هي ولويز لأول تجربة عملية في الإسعاف لهما، أعطى الدكتور أحمد ياسمين ورشا اللباس الطبي وأمرهما بأن تتساعدا في خياطة جرح

في رأس شاب أصيب في معارك دير العصافير، لم يكن الوقت مناسباً لياسمين ولويز إلا للعمل، على السرير المقابل كانت قد بترت قدم طفل لم يتجاوز العشر سنوات من العمر وفي نفس المكان كانت الأم تحاول أن تلهي طفلها الذي لم يتجاوز عمره الثلاث سنوات وتطلب منه أن يصبر فهو رجل قوي وكانت تسأله (مابدك تصير جيش حر) متحايلةً عليه لكي تزرع فيه القوة التي كانت قد فقدتها هي عندما كانت ترى الدماء التي تسيل على ملابسها.

مضت الساعات وبدأت خيوط الظلام تنجلي، صوت قريب يصرخ الله أكبر من سيارات الثوار في الخارج، نزل يزن ورفاقه ومعهم بعض الجرحى إلى المشفى، سعادة لاتوصف في عيون الثوار فقد استطاعو إيقاع قوات الأسد بكمين أدى إلى تراجع القوات وإيقاف اقتحام بلدة دير العصافير بعد أن اتت التعزيزات لثوار البلدة من معظم البلدات في الغوطة الشرقية، لم ينتبه يزن للفتاة الواقفة على يمينه التي تبرق عينيها وتملأ الدموع جفنيها فعشيقتها بخير يضع الشال العربي على رأسه ويلفه على الطريقة الثورية والتراب يملأ ثيابه والشال، نادت ياسمين يزن وأخذت تحمد الله على سلامته وهو الذي بدأ يستفسر عن سبب مجيئها إلى هذا المكان، أتت الأوامر من الدكتور أحمد ليزن أن لايتعرض أحد لياسمين التي تعتبر الآن أحد عناصره التي استطاعت تأمين مانتقص من دواء في هذه المعركة الصعبة، ضحك يزن الذي كان يود أن يحضن فتاته المغامرة وطلب منها أن تنهي عملها للقائه في الخارج، سارعت ياسمين بتقطيب جرح يد المصاب الذي بين يديها إلى أن انتبه الطبيب الشاب أن هذه الفتاة فقدت تركيزها فور رؤيتها ليزن فأخذ منها مابيدها وطلب منها ان تأخذ استراحة.

وقفت ياسمين أمام يزن لتبدأ بحيلها ودلالها المعتاد وهو يدخن سجائره أمام الأشجار المتساقطة الاوراق في هذا الخريف، (بيقولو بدك تعيش عيشة

هنية خود بنت سورية اما أمي بتقول بدك تعيش عيشة هنية خود بنت ياسمينية) رسمت تلك الحيل أول ابتسامة ذات قيمة في فؤاد يزن الذي لم يكن يهتم لمظهره خلال الشهور الفائتة حتى طالت لحيته وشارباه، نظرت ياسمين إلى الخاتم المرصع بالتراب وضغطت بيدها عليه وأخبرته أن أمها رأت مناماً بأن ابنتها سوف تتزوج خلال أشهر قليلة وهذا يعني أن النظام سيسقط وسوف يتابع العاشقان الدمشقيان حياتهم بعيداً عن صوت الرصاص، ضحك يزن على كلمات ياسمين فهو يعلم أنها هي نفسها لاتصدق أحلام والدتها ولكن حاله كما حالها لابد من استغلال كل لحظة في بث الأمل عندما تمشي في الطرقات الشائكة لربما تنبت الأزهار في يوم من الأيام.

تحت سيطرة الصمت في هذا المكان النائي سمع العاشقان صوتاً شجياً من المؤذن من داخل المسجد الواقع خلف هذه البساتين (تعالي لعرفك على أم الثوار) أخذ يزن بيد ياسمين وانطلقا إلى بلدة قريبة، يقود يزن سيارته في الطرق الفرعية فقد بات الشاب الدمشقي يحفظ طرقات الغوطة كما يحفظ أزقة دمشق، ويحفظ أماكن تواجد قوات الأسد الابن والأماكن التي لاتجرؤ تلك القوات دخولها وياسمين جالسة على يمينه في المقعد المحاذي للسائق رفع الشاب الذي بات الصمت أحد صفات شخصيته منذ خروجه من دمشق يد ياسمين وقبلها، اطمأنت ياسمين فقد كانت تحترق من صمته ومن إجاباته المقتضبة، كان يزن مكتفياً بالتركيز بعينيها واعطائها المجال للحديث طيلة الساعات الماضية، أحست الفتاة مدى حبه لها وازدادت ثقتها أكثر فأكثر فيده تضغط على يدها وكأنها تخاف من الفراق طوال الطريق. فُتحت لياسمين الأبواب لتعلم لغة جديدة لابد لها أن تعتاد عليها لغة الحب في زمن الحرب، تلك التي تشعر العاشقين بالاطمئنان والأمان كأنهما جالسان في يوم الجمعة يحتسيان القهوة الصباحية وهو يداعب شعرها البني المائل إلى للون الأحمر، (عندك مكان للسر؟) أجابته ياسمين (نعم) قال

لها يزن بأنه عندما يكون في وسط معركة ويشعر بحالة من عدم الارتياح يلف يديه حول خاتم الخطوبة ممايجعله يشعر بارتياح كبير، كان لتلك الجملة أثراً كبيراً على ياسمين فهي معه في كل مكان ولم تنسيه آلام المعارك وخطورتها قطته المدللة ولم يكن حبه لها نزوة شاب هذا ماأدركته ياسمين التي كانت تبتسم مثل طفلة صغيرة تحصل على هدايا العيد.

(خالتي أم فهد افتحي الباب) فتحت الخالة أم فهد الباب لصديق ابنها الشهيد، يمر يزن كل بضعة أيام إلى منزل أم فهد لزيارتها فهو ماتبقى لها بعد استشهاد ابنائها الثلاثة ووالدهم (جبتلك كنتك ياخالة) تمكنت ابتسامة الخجل من وجنتي ياسمين اللتان توردتان وأخذت الخالة أم فهد تقبل ياسمين وتضمها بيديها الجاعدتين وأخذت ترحب بالعاشقين، دخل يزن للوضوء وأخذت الخالة أم فهد تخبر ياسمين عن خطيبها وبطولاته وعن أبنائها الثلاثة وزوجها الذي استشهد في التظاهرة التي حاولت الوصول إلى دمشق من دوما عند مفرق الزبلطاني وعن ابنيها الذين استشهدا في معارك الغوطة واحداً تلو الآخر وعن فهد الذي استشهد بالمعتقل بعد ماألقى الأمن القبض عليه وهو يدخل الذخيرة إلى الثوار.

أخذت الخالة أم فهد بيد ياسمين للوضوء وتوضأت الفتاة والخالة من جرة الفخار وعند انتهاء ياسمين من الوضوء بدأت الخالة أم فهد تمسح وجه عروس ابنها وتقبله وتسبح الله على جمال خلقه، ياسمين الذكية البريئة لم تملك طوال ذلك الوقت عقلاً لتفكر به فقلبها كان يخفق من الاهتمام الذي تبديه لها هذه المرأة الريفية المسنة، من يعيش بين اهل الريف يرى من الحب مالايراه في المدن.

أنهى الجميع صلاة الظهر وبدؤوا بالدعاء إلى الله بأن ينصر الثوار على قوات الأسد ومن ثم ذهبت الخالة أم فهد لتضع إبريق الشاي على الموقد، يجلس يزن متربعاً على الفراش العربي وهو يضع السلك الأبيض المزخرف

بالمربعات السود، كانت ياسمين تسترق النظرات من الشاب الذي تحب فقد أثار شكله الجديد إعجابها ورسم لها هالة من القوة محيطةً بيزن تستطيع مواجهة أعتى الجيوش من اجلها .

على وقع ملئ كاسات الشاي للضيوف تسائلت أم فهد عن السبب الذي تسبب بتأخير زفافهما، أجاب يزن بأنهم اتفقو على أن يكون العرس فور سقوط نظام الأسد الابن، دعت الخالة الخبيرة في الحياة التي عايشت أحداث الثمانينات لهما بعرس في القريب العاجل وتعهدت بحضور الزفاف ببندقية ابنها فهد هي وجميع أصدقاء يزن من الثوار في حي الميدان ووعدت بأن تزف ياسمين على رصاصات النصر بإذن الله، لكن الخالة أم فهد الأم المكلومة والزوجة الجريحة كانت تدرك بأن الطريق مازال طويلاً وكانت تدعو الله في سيرورتها أن يقيهما شر ماتعرض له ابنها فهد في سجون الأمن السوري والذي عاد إليها جثة منتفخة الجوانب ولولا نظرة الأم لما تعرفت على ابنها.

عاد التوأمان إلى المشفى الميداني وقد حان وقت عودة ياسمين ولويز ومراد، ركب الثلاثة السيارة لم يخفى على مراد ولويز مدى سعادة ياسمين بعد لقائها بيزن.

توجهت ياسمين فور عودتها إلى منزل يزن وراحت تخبر الحاج أبو أحمد والحاجة بتفاصيل رحلتها وطمأنت العائلة أن ابنهم بخير وبدأت باستخدام حيلها والتحدث عن بطولات يزن في المعارك، شعر الحاج أبو أحمد بسعادة واطمئنان وقد كان يخفي على ياسمين مفاجئة أجمل سوف تدركها في الأيام القليلة القادمة.

يوم جديد ومظاهرة جديدة داخل حي باب توما مقابل الكنيسة لتحفيز المسيحيين للمشاركة والانخراط في الثورة كفئة كاملة، مدة المظاهرة يجب

أن لاتتجاوز الثلاث دقائق فالامن السوري يركز على هذه الأحياء من أجل الحفاظ عليها بعيداً عن التمرد، صاح عَمر أول صيحات التكبير وراح المتظاهرون يصرخون (الله سوريا حرية وبس) (واحد واحد واحد الشعب السوري واحد) انتهت المظاهرة بسلام وانطلقت الصديقات إلى محل العصير وراحت ياسمين ولويز تهمسان لرشا ونيرمين تفاصيل ماحدث معهم في اليومين الماضيين وتفردت ياسمين بشرح شكل يزن الجديد ولباسه وطريقة كلامه التي جذبتها له أكثر والفتيات يسمعن كلام صديقتهن العاشقة التي استطاعت أخيراً أن تجد حباً حقيقياً من الصعب إيجاده في زمن أصبح فيه العشق حجةً يمشي عليها معظم الشباب والكثير من الفتيات من أجل التباهي أو إمضاء الوقت لاأكثر.

الساعة الثامنة مساء في شوارع سقبا التي تكاد تخلى من أي شيء إلا صوت الرياح داخل الغوطة الشرقية، لاتدخل قوات الأمن إلى هذه المدينة إلا بوجود المدرعات والمؤازرات، فثوار المدينة يستطيعون التنقل بسهولة بين المنازل والبساتين بسبب خبرتهم في العالية بالأرض التي ينتمون إليها والحاضنة الشعبية التي ترى بهؤلاء الشباب الحماية لمستقبل بلادهم، لايسمح للعناصر بدخول المدينة بشكل منفرد خوفاً من انشقاقهم وانضمامهم إلى صفوف الثوار، استقبل أهالي مدينة سقبا أهالي بلدة دير العصافير في بيوتهم بين نسائهم وأطفالهم من دون الحاجة أن يكونو أقرباء لهم، يعود سبب نزوح أهالي بلدة دير العصافير نتيجة الخوف من استخدام النظام لهم كدروع بشرية عند اقتحام المدينة وخوفاً من المجازر التي ارتكبت سابقاً في بلدات أخرى داخل الغوطة.

يجلس الضابط المسؤول على المعركة القائمة في بلدة دير العصافير على مكتبه الفاخر داخل فرع المخابرات الجوية في حرستا ليستقبل معلومات حول نزوح معظم الأهالي إلى بلدة سقبا من دير العصافير، هذا الضابط

معروف بجبروته وحزمه في المعارك التي توكل إليه فهو لايضيع فرصة من أجل الانتصار على من يراهم أعداءً له، لايهم هذا الضابط الذي تربى على يد الأسد الاب أن يستخدم أي وسيلة مهما كانت من أجل الانتصار والكمين الذي وقع فيه رجاله يمثل خطراً كبيراً على سمعته بين زملائه، أعطى الضابط الخبير الأوامر لجميع الوحدات لرفع الجاهزية ووضع خطة لتمشيط بلدة سقبا واعتقال مايقارب العشرين امرأة واقتيادهم إلى الفرع ويفضل أن تكون الفتيات من اليافعات حتى تشكل الضغط على الثوار في المنطقة لينسحبو من البلدة فبعد فشل الإقتحام وخسارة الكثير من العناصر بين منشق وقتيل لابد من ايجاد آلية جديدة من أجل دخول البلدة.

بدأت مدرعات الأسد الدخول إلى مدينة سقبا من ثلاثة محاور حوالي الساعة الثانية ليلاً وبدأت عملية المداهمة والتمشيط إبتداء من الأطراف انتهاء بمركز البلدة الصغيرة، بدأ العناصر بطلب الهويات من القاطنين في البيوت واعتقال كل مواطن تعود قيوده إلى بلدة دير العصافير.

بخطوات سريعة يصعد مجموعة من العناصر في أحد الأبنية المطلة على ساحة سقبا الرئيسية، تجلس الأم وابنتيها بمرافقة شعور الخوف والهلع الذي يصيب الأم على ابنتيها فالأم تدرك حجم الحقد والرغبة من الانتقام من أهالي دير العصافير البلدة التي لقنت جنود الأسد درساً في المواجهة لأول مرة لها بعد معاناة كبيرة في المواجهة المدنية التي أدت إلى اعتقال وقتل الكثير من شبابها وبناتها، بدأت أقدام العناصر تركل باب المنزل الذي تجلس فيه العائلة، فتحت الأم الباب قبل أن يُخلع ودخل العناصر يفتشون عن رجل أوشاب طلب العنصر الهويات الخاصة بالعائلة أعطت الام التي تكاد تنهار اعصابها من شدة الرعب هويتها للضابط (أنتو من دير العصافير يامرحبا) أعطى الضابط عناصره الاوامر باعتقال أحد بنات الأم المولعة على ابنتيها، بدأت بتوسل الضابط لترك بناتها فلاذنب لهم باي

شيء، أجابها الضابط الذي ركلها بعيداً عن قدميه (خلي الثوار ينفعوكم يأهالي دير العصافير والله لنعمل فيكم العمايل) اعتقل العناصر فتاة واحدة من العائلة وترك البقية لكي يتوجهوا إلى الثوار ضاغطين عليهم من أجل فك أسر ابنتهم التي قد تكون شقيقة أحد الثوار المقاتلين داخل بلدة دير العصافير أو أحد أقربائه كما كان يجول في خاطر الضابط والذي سيستفيد أيضاً كما يظن بإيصال رسالة للمدنيين بأن الذي يواجه الحكومة بأي طريقة كانت سلمية أو مسلحة سوف يشكل خطراً عليكم وعلى أبنائكم.

تجعب يزن وأصدقائه الذين كانوا داخل أحد المنازل في المنطقة بعد أن دخلت وحدة التفتيش إلى البناء الذي يلجس فيه يزن وأصدقائه، دخل عنصران إلى المنزل وبدؤوا حملة التفتيش، صعد أحد الجنود إلى العلية في المنزل وقد رأى يزن ومن معه مختبئين ولكن هذا الشاب أخبر الضابط بأنه لايوجد شيء في العلية، نزلت الوحدة من البناء وكأن شيئاً لم يكن.

انتشر خبر اعتقال الفتيات في جميع أرجاء الغوطة ممأدى إلى اشتعال النار لدى المجتمع الذي تمثل فيه المرأة شرفاً يموت من أجله جميع الرجال ويبذلون الغالي والرخيص من أجل صونه، امتطى الثوار أسطح الأبنية في المدينة وانتشر يزن ومن معه في إحدى الأزقة الفرعية لاصطياد كل عنصر يحاول الفرار من الخطة التي وضعها الثوار نتيجة معلومات سربت لهم قبل اقتحام الأمن والجيش للمنطقة، بدأ الثوار برمي عدة ألغام اصطدامية على المدرعات ممأدى إلى حالة من الرعب والتشتت وبدأ العناصر يتلقون الرصاصات من كل حدب وصوب ومن حاول منهم الفرار وقع بيد يزن ومن معه، فرَ من استطاع الفرار وتم إلقاء القبض على أكثر من عشرة جنود منهم الضابط الذي اعتقل الفتاة التي تحررت، دخل يزن إلى غرفة المعتقلين فوجد الشاب الذي رآه هو أصدقائه وأخفى عن الضابط المسؤول وجودهم طالب بتحرير الشاب شارحاً لصديقه ماحصل معه وأمر بأن يتم تحرير كل

من يتكفل به هذا الشاب شريطة أن لايكون قد قتل أحد من الأهالي أو الثوار، طلبت الوالدة التي اعتقل الضابط ابنتها بعد أن عادت إليها وعلامات الضرب بالعصي تحفر جسدها الرقيق بأن تأخذ الثأر بيديها الهرمتين، نفذت الوالدة المكلومة الحكم الذي صدر بحق الضابط بالاعدام الذي تسبب بقتل الكثير من أهالي بلدات الغوطة الشرقية واتهم بحالات اغتصاب عديدة تحدث في كل مكان تدوس به قدماه، انتشر المقطع الذي سجل على مواقع اليوتيوب يظهر فيه العناصر الذين نفذ فيهم حكم الاعدام بالرصاص وبدأت مؤسسات مدنية وحقوقية تستنكر هذا الفعل من المعارضة السورية بسبب تنفيذ إعدامات ميدانية بحق ضباط سوريين كما تقول.

تتبضع ياسمين ورشا مايلزم من حاجيات من سوق الخضار داخل حي الشعلان العريق داخل العاصمة دمشق من أجل تصنيع الحلويات الحديثة والفواكه فاليوم قد أقامت الصديقات الثائرات احتفالاً أنثوياً على الطريقة الشرقية الدمشقية، هذه الزيارة ليست بالثورية هي زيارة تحد للحرب واستمرار للحياة التي سوف تبقى مابقيت الفتيات الثائرات ومهما اختلفت الظروف الضاغطة والتحديات الصعبة للصديقات اللواتي عانى البعض منهن آلام الاعتقال أو فقدان أحد الأعزاء على قلوبهم من أب أو أخ أو صديق من قال أن الحرب تستطيع قتل الأنوثة في قلب ثائرة، اليوم سوف تقام حفلة رقص أنثوية بحتة في بيت ياسمين وسوف تستعرض كل من الفتيات رقصاتها على صديقاتها كما سوف تستعرض ياسمين مأكولاتها التي سوف تمثل ركناً رئيسياً من مدح وإعطاء للمقادير في الحديث.

في المجتمع الشرقي المحافظ تقام حفلات الرقص في غرف مملوئة بالإناث وفي صالات الأعراس النسائية فقط، تستعرض فيها كل فتاة قدراتها على الرقص أمام الحاضرات على أصوات الصفقات الحارة، أما في الأعراس فالعنصر المتطفل الوحيد هو العريس الذي يدخل صالات الأعراس قبل ساعة

من انتهاء العرس وعندما يدخل العريس تخلى المنصة من جميع الفتيات ويغدو الشاب وعروسه هما نجما اليوم برقصات ثنائية على وقع الأغاني الشرقية بحضور صديقات كل منهما وأفراد عائلاتهما.

بدأت أنغام الأغاني الحديثة تمايل كل فتاة على وقع الصفقات من الفتيات الجالسات، حان دور ياسمين لاستعراض رقصاتها المتقنة على تناغمٍ مع خلخالها الملفوف حول قدمها وشعرها المنسدل مثل أمواج البحر الهادئة بدأت الفتاة الشقية ترقص بعد انقطاع طويل في ظل القهر الذي تتعرض له بلادها، انضمت رشا لتشارك ياسمين رقصتها على نغمات أغنية شرقية قديمة ولكن دور رشا الذي اختارته هو أن تلعب دور العريس الذي ينسق تحركاته على تمايلات ياسمين وإغرائها له مستنشقةً رائحة العطور الزكية التي تستقر على جسد الأنثى المقهورة، سافرت ياسمين بأفكارها إلى مجرة أخرى وإلى جمهور آخر إلى حفلة زفافها ويزن الذي ينسق حركاته على تمايلات عروسه الجميلة على وقع صفقات الضيوف من العائلتان وصديقاتها وأخذت توتوت في نفسها بأنها لن تسمح ليزن بأن يرسل دعوة لأي فتاة ليست قريبة له من الدرجة الأولى، هذا ماكانت تفكر فيه تلك الأنثى الثائرة التي لاتعرف فرقاً بين أن تكون أنثى وفتاة عاملة، فتاة استطاعت أن تتحدى مخاطر كثيرة دون أن تتطبع بما لاتملك فأنوثتها تعبر عن ذاتها التي لن تطلقّها مابقيت حية وهل يستطيع القدر أن يقتل مافي أنثى من رقة!

(روح إلهي بتتزوجها وبتهريها بالهنى) كانت كلمات أبو إسلام لصديقه يزن قبل نزوله لتنسيق بعض الأمور الطبية داخل دمشق الذي أجاب صديقه قائلاً (يهرو نعمتك إلهي هي صناعة محلية أصلية أصلا هي أحسن صناعة بيصنعها السوري ومالنا منافس فيها على مستوى العالم) وهو مشتاق لعشيقته المدللة التي يراها أجمل مارأى من فتيات في بلده فالعاشق لايرى

إلا مافي معشوقته من جمال، حتى أن عيوبها تتلاشى من عيونه كأنها لم تكن أو حتى أنها تتحول أحيانا إلى حسنات تزيدها جمالاً.

تستقبل ياسمين مكالمة من يزن وتتلقى أمراً بفتح باب المنزل، تركض العاشقة إلى يزن حاضنة اياه وشاكرة الله على سلامته وتقبله قبلات استقبالٍ لا تحسب فيها وضع وزن لها فلا مكان للحيل ياسمين مشتاقة له كثيرا ورؤيته تعيد الروح التي كانت تبحث عن أحوال حبيبها في أراضي الغوطة، عاد يزن وعادت ملابسه الأنيقة ولحيته التي عادت كسابق عهدها بريق عيناه يزداد جمالاً كلما رأته من من جديد وكأنه يتبدل عند كل لقاء أعطى يزن هاتفاً جديداً لياسمين وشريحة اتصال ابتاعها لها على هوية أحد قتلى الجيش السوري وأعطاها رقمه الثوري من أجل أن يكون تواصلهم بطريقة آمنة وأعطاها تعليمات الأمان على أن لاتحدد مكان وهي تتحدث إليه ولا تستخدم هذه الشريحة إلا من أجل العمل وتناديه باسم أبو آدم وهو يناديها أم آدم، أجابت ياسمين مازحة (بلكي مابدي سمي ابني آدم انت أخو مراقي) أجابها يزن مازحاً (بدي اقطع راس القط من ليلة العرس) لايعني حديثك مع فتاة بطريقة القوة تعدي عليها في جميع الأحيان وهذا ماتدركه ياسمين أجابت يزن وهي تضحك (أقنعتني يأبو آدم) هذا وقد اتفق العريسان الذين لم يختلفان من الأساس على اسم ابنهما البكر الذي سوف يأتي مستقبلاً. قدمت ياسمين جميع المأكولات التي احتفظت بها ليزن منذ بداية رحلته والحلوى التي صنعتها قبل أيام التي وضعت جانباً حصته قبل حصة صديقاتها وبدأت تنتظر مديح عشيقها على ماصنعت أناملها، وضع يزن عقداً على عنق ياسمين أعطته إياه الحاجة أم فهد من أجل ياسمين مكتوب عليه بحمى الرحمن كانت تريد أن تقدمه للفتاة التي سوف تكون من نصيب ابنها الشهيد فهد، كان هذا العقد لياسمين أجمل من عقد من الألماس ففتاة كريمة كياسمين لايهمها إلا مايحمل هذا العقد من معاني.

على الطريق السريع الفاصل بين حيي تنظيم كفرسوسة الحديث البناء وحي المزة انطلق يزن وياسمين ورشا وعمرإلى مظاهرة مسائية في الحي الشعبي المحاذي شرقاً للتنظيم وغرباً لمدينة داريا، لاتستطيع قوات الأمن الدخول إلى هذا المكان ليلاً بسبب كثرة البساتين من أجل تفريق التظاهرات المناوئة لنظام الأسد لذلك تعتبر هذه المنطقة الوحيدة في دمشق التي يستطيع ثوار دمشق تنظيم مظاهرات تدوم لساعات من دون أن يتم تفريقها من الأمن السوري بعد أن تسلح بعض الشباب في هذا الحي.

في طريق موحل من داخل البساتين وبين المساكن العشوائية تخطي ياسمين وأصدقائها الخطوات وهم يشعرون براحة كبيرة بسبب تواجد مجموعة من الشباب المتمترسين بين الأشجار من أجل حماية المظاهرة في حال دخول الأمن السوري، استمرت التظاهرة لمدة ساعة ونصف نقلت على شاشات التلفاز العربية في هذه الأثناء كانت رسائل حب بلغة العيون تتناقل بين يزن الذي كان يقف بعيداً عن ياسمين في فسحة يتجمع فيها النشطاء وياسمين التي كانت تقف في فسحة تتجمع فيها الناشطات، استمرت التظاهرة على أغاني الثورة وتراتيل القاشوشيات إلى أن اختتمت بدعاء الله بالحصول على نصر قريب.

صباح يوم جديد تقوم ياسمين بتحضير فناجين القهوة الصباحية للعائلة على غير عادتها وتيقظ يزن برسالة نصية تقول بها (ياسمين تحبك أكثر) يعشق يزن بساطة ياسمين وعدم تكلفها بالتعامل معه كما تعشق تلك المتمردة الشيء ذاته في رجلها الشجاع.

أعلن عمر على المجموعة السرية خبر استشهاد عمار في المعتقل أحد النشطاء الإعلاميين بسبب وشاية من أحد المخبرين، قدم عمر ليزن معلومات عن كافة تحركات المخبر الذي تسبب باعتقاله وفي نفس اليوم

انطلق يزن إلى الغوطة في ذلك اليوم، وضع مسدساً في مكان مخبأ من السيارة وعاد مساءً منتظراً برفقة اثنان من الثوار.

يتناثر دخان سجائر يزن من حوله الذي ينتظر مرور أبو حيدر المخبر الذي تسبب بمقتل صديقه عمار تحت التعذيب واعتقال ناشطة أخرى ، دخل أبو حيدر إلى داخل البناء الذي يقطن به وبدأ بالصعود إلى الطابق الثالث حيث يقيم، وضع يزن الكاتم على مسدسه ولحق بأبي حيدر وعنده وصوله إلى الطابق الثاني أردى المخبر قتيلاً برصاصتين منفذا فيه الحكم الذي حصل عليه من أحد العلماء داخل الغوطة.

بدأت مرحلة جديدة في دمشق فقد حان الوقت لتصفية المخبرين السريين من أجل فك الوثاق عن أقدم عاصمة في التاريخ لضمان أمان أعداد كبيرة من الناشطين والناشطات قدر الإمكان، قام يزن وأصدقائه بتنفيذ عدة عمليات اغتيال لضباط في سلك المخابرات واختطاف عدد من المخبرين وترحيلهم إلى محاكم الغوطة الثورية، يعمل المخبر في سلك المخابرات بطريقة سرية يقوم بمراقبة تصرفات الناس ويحاول فتح نقاشات من أجل تقديم معلومات للفروع الأمنية حول المعارضين للنظام مماسيؤدي إلى اعتقالهم، أدت الحملة إلى هروب عدد من المخبرين وافتقاد جهاز المخابرات توازنه في محاولة شد وثاق دمشق من أي تمرد.

٢٠١٢-٢-١٨

انطلق تجمع مهيب من حي المزة العريق داخل العاصمة دمشق القريب من القصر الجمهوري لتشييع ثلاثة نشطاء قتلهم عناصر الأمن السوري إثر اطلاقهم الرصاص الحي على تظاهرة في جمعة سماها ناشطون بجمعة المقاومة الشعبية، يعتبر حي المزة من الأحياء التي استملكها ضباط جهاز المخابرات والجيش في حكم الأسد الأب والابن ووزعت معظم السفارات

الدولية في هذه المنطقة التي تعتبر منطقة أمنية بامتياز، بنى معظم ضباط الجيش السوري والمخابرات مساكن لهم وفيلات لعائلاتهم في هذه المنطقة التي مازالت تقاوم لكي تحافظ على طابعها الدمشقي، يوجد في هذه المنطقة أعتى سجون الأسد وأكثرها إجراماً في سوريا الذي يسمى بفرع المخابرات الجوية الموجود في مطار المزة العسكري ممايجعل التظاهر في هذه المنطقة مشروع انتحار للناشطين.

انطلقت ياسمين برفقة رشا صباح ذلك اليوم للمشاركة في التشييع الذي لقي صدى في جميع مناطق دمشق، على الطريق السريع لحي المزة في ظل تساقط الثلوج على المتظاهرين وصلت الفتاتان إلى المنطقة لتجتمعان بمنظر لم تكن ياسمين لتصدق أنها قد تراه في دمشق، حشود كبيرة من المتظاهرين في منطقة لاتبعد عن القصر الجمهوري الذي يقيم فيه الأسد الابن إلا مئات الأمتار، بدأت ياسمين تفكر هل ترى رئيس البلاد الذي نتظاهر ضده يرى هذه الحشود أم أن عيناه لاترى إلا مايريد أم أنه يرى قطيع من النمل يحتاج لمن يدوس عليه، بدأت الهتافات وبدأ الثلج يتساقط على بساط الياسمين الذي شكلته ثائرات دمشق وعلى الحشود الكبيرة من المتظاهرين، تحرك التشييع باتجاه الطريق الرئيسي لحي المزة رفع النشطاء فيه علم الاستقلال الذي بات معروفاً بعلم الثورة، جن جنون عناصر الأمن السوري وأتت الأوامر بفتح النار على المتظاهرين مباشرة وتفريقهم وإلقاء القبض على أكبر عدد ممكن منهم، أصيب عشرات الناشطين واستشهد النشطاء الواقفين على الصف الأول، هرعت ياسمين ورشا بإتجاه أحد المصابين لتبدأ ياسمين بمحاولة للقيام بإسعافات أولية، كانت إصابة الشاب الذي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره بالغة جداً، تحتاج هذه الحالة إلى إسعاف إلى مستشفى قريب ولكن وصول أي حالة إلى المستشفى في هذه الظروف يعني اعتقال الناشط أو قتله داخل سرير العلاج فأجهزة الأمن السوري تتغلغل في كل المشافي الحكومية والخاصة، لتنقض على كل ثائر

يناهض النظام ويتعرض لإصابة خلال التظاهر ضد الأسد، حمل مجموعة من أهالي المنطقة الشاب ونقلوه إلى أحد المنازل لحين تأمين أي طريقة لعلاجه اتصلت ياسمين بيزن وطلبت منه الاتجاه إليها، نقل مجموعة من الشباب الشاب إلى سيارة يزن عندما وصل وقام الناشطان بنقل الشاب المصاب إلى نقطة طبية قريبة في المنطقة، طلب يزن أحد أصدقائه الأطباء الذي يعمل في مشفى خاص أن يحضر لأمر طارئ، وصل الطبيب إلى النقطة الطبية وبدأ بعلاج الشاب وصل إلى النقطة في تلك الأثناء مصاب آخر، لم يستطع الطبيب أن ينقذ الشاب الذي أسعفته ياسمين ويزن بسبب عدم وجود إمكانيات طبية في نقطة طبية لاتحوي سوى سرير وبعض العقاقير المسكنة.

أثَّر استشهاد الشاب على ياسمين كثيراً، فلم تكن تتخيل هذه الفتاة الرقيقة أنها لن تستطيع إسعاف مصاب إلى المستشفى الذي لايبعد عنها بضع مئات من الأمتار بسبب حاكم يرى بحياة طفل يناهضه خطراً على بلاده التي يعتبرها بأنها مزرعة خاصة ورثها من أبيه.

شعور بالذنب يحتل فؤاد ياسمين التي لم تستطع أن تقوم بأي شيء من أجل الشاب الذي كان يئن بين يديها ويلفظ أنفاسه الأخيرة بصعوبة، رغم أنها في الواقع تعتبر شريكة الشاب في الزنزانة الإنسانية التي لايعرف معناها من يرى بأن الشعب الذي ثار ضده ثلة من العبيد لاحقوق لهم إلا مايتكرم بها عليهم من فضائله، مجنونة هذه الحياة لاتعرف قاعدة ولامنطق تستطيع إدراكه إلا منطق القوة والسلاح لاتستطيع أن تحمي الحق إلا بالقوة فعندما تصبح السلطة والقوة بيد إنسان مريض أو معتوه مصاب بالنرجسية وجنون العظمة عندها لاخيار إلا انتظار الثائرين لموتهم أو انتظار جلدات الحاكم وتقديم قرابين الولاء له (إذا أتى يوم ورأيتموني به شهيداً اتركو خاتمي على يدي) هذه كانت وصية يزن لياسمين في طريق العودة إلى المنزل على هدير الأمطار التي تستقر زجاج العربة التي تقلهما، لم تستطع

ياسمين المكلومة من الإجابة على طلب يزن فهي لاتستطيع أصلاً أن تفكر بترهات موت عشيقها فهو لن يموت سوف يأتي النصر ويتزوجان ويعود يزن إلى حياته الطبيعية ليستلم الملفات المحاسبية في كبرى الشركات في البلاد، ولكن دموع ياسمين استطاعت اختراق محاولات الفتاة إخفائها لتستقر على وجنتيها كما تستقر دموع السماء المتناثرة على زجاج العربة في طريق العودة.

تمنع حكومة الأسد الابن دخول الصحافة إلى سوريا والتحرك بحرية خوفاً من تغطية المحطات العربية والعالمية لحقيقة الأحداث التي تجري في البلاد ضد نظام الأسد الابن منذ مايقارب العام، ماري صحفية هولندية سمحت الحكومة بطريقة استثنائية لها ولبعض الصحفيين الدخول إلى سوريا شريطة أن لاتتحرك إلا بمرافقة مندوب من الحكومة السورية وبإشراف فريق حكومي ينظم لها تحركاتها وجولاتها تحت حجة حمايتها من المجموعات الإرهابية أجرت ماري عدة جولات ميدانية بمرافقة الجيش السوري في عدة مناطق مشتعلة وأجرت العديد من المقابلات مع عائلات سورية بمرافقة عناصر من الأمن السوري، الحاجة أم مؤيد التي قتل ابنها تحت التعذيب وأجبرها النظام على التوقيع على وثيقة تقر فيها بأن المجموعات الإرهابية قتلت ابنها بدأت تدلي بشهادتها لماري بحضور عناصر من جهاز المخابرات السورية كما طلب منها العقيد في الفرع الذي كان قد زار منزله في اليوم السابق للزيارة وقد أعطاها الشهادة التي يجب أن تدليها أمام الصحفية بدأت الحاجة أم مؤيد تدلي بشهادتها بحضور عناصر من جهاز المخابرات السورية كما طلب منها العقيد في اليوم السابق للمقابلة، بدت الحاجة أم مؤيد الوالدة المكلومة على ابنها والخائفة من ردة فعل تودي بابنتها إلى التهلكة في حال عدم إعجاب الضابط في فرع المخابرات للشهادة التي أدلتها خائفةً وقلقة كما تبين لماري الصحفية المخضرمة التي رأت بدورها عدم الإرتباط في الأفكار التي ترويها الحاجة أم مؤيد، استطاعت الصحفية

المخضرمة الإفلات من مراقبة المخابرات السورية في دمشق في جولة أعلمت المخابرات بأنها جولة سياحية لاعلاقة لها بالعمل السياحي، التقت ماري بعمَر الذي بدوره أخذ ماري إلى موقع سوف تجري فيه تظاهرة مناوئة لنظام الأسد في حي البرامكة، اجتمعت ياسمين بعمَر الذي عرفها بدوره على الصحفية وأخذ عمَر ماري إلى أحد البيوت المطلة على الخط النهائي للتظاهرة التي كانت ياسمين أحد أفرادها وكانت قد وعدت الصحفية بأن تلحق بهم فور انتهاء التظاهرة، بدأت التظاهرة بصراخ الله أكبر واستمرت لمدة ٧ دقائق التي فضت بشكل تلقائي عند اقتراب عناصر الأمن السوري دخلت ياسمين فور انتهاء التظاهرة إلى البيت الذي تراقب من داخله ماري الأحداث وماهي إلا دقائق قليلة حتى وصل عناصر الأمن السوري إلى المنطقة والتي راح العناصر يعتقلون المارة من الطرقات ويبرحونهم ضرباً إلى حد الإدماء ويطلقون النار بطريقة عشوائية رغم إنتهاء التظاهرة التي أصابت النظام بالجنون ففي هذا اليوم أكثر من سبع تظاهرات طيارة في المنطقة راقبت ماري كل ماحدث وكيف تم اعتقال كل من لاذنب له من شرفة المنزل وكيف تم الاعتداء على المحلات المفتوحة وتكسير أثاثها، شعرت الصحفية بالذهول فالعناصر بدا وكأنهم يتعاطون شيئاً يجعلهم مجانين في تصرفاتهم، أخبرت ياسمين ماري بأن مارأته لايمثل شيئاً أمام الواقع المرير والاضطهاد الذي يعيشه السوريون وبدأت ياسمين تأخذ رأي ماري بما شاهدت من أحداث وهي برفقة المندوب من الحكومة السورية ومارأته هنا من دون أية قيود تفرضها السلطات على تحركها، أخبرت ماري ياسمين بأن الحكومة السورية اصطحبتها إلى مكان تسمع فيه فجأة إطلاق رصاص مجهول المصدر يخبرها المندوب بأن الإرهابيين يقومون بقتل المدنيين ومهاجمة المقرات الحكومية لكنها كانت تستغرب ترتيب الأحداث الغريب وظهور مقاتلين في منطقة تعتبر تحت سيطرة القوات النظامية بشكل كامل وأخبرتها عن رواية أم مؤيد التي كانت منقوصة بالنسبة لها وهذه كانت الأسباب التي شجعتها

على لقاء عمَر، لكنها لم تؤكد تلفيق ماحدث فهي وحسب مهنتها عليها تدوين كل مادار معها من دون أن تعطي رأياً شخصياً بذلك وعليها ومن واجبها ذكر الرواية الحكومية التي تراه بوجهة نظرها أحد الأطراف المتصارعة على السلطة، شعرت ياسمين بالحيرة حول كيفية إيصال الواقع لماري فالصحفية المخضرمة تعيش في بلد أنهى معاناته مع الديكتاتورية قبل أن تفتح ماري عيونها إلى الحياة وهي لم تعرف في حياتها داخل بلادها نظاماً مستبداً ورغم قرائتها للتاريخ فالموضوع بالنسبة لها مثل الأفلام الهوليوودية ومن الصعب أن تفهم مايدور إذا لم تعش هنا لترى معاناة إنسان يخرج ضد حاكم مستبد لكي تدرك سبب اضطرار الشبان ومنهم عشيقها يزن إلى حمل السلاح، قالت ياسمين في نفسها أنه على ماري أن تعيش في غرفة ترى فيها أب مكبل يبكي زوجته التي ذبحت أمامه ويتوسل الرجل الذي يتلذذ باغتصاب ابنته وأنه يجب عليها أن ترى فتاة تعتقل ودماء البكارة تنزل من سروالها لتقتاد إلى فرع الأمن بعد أن تم قتل عائلتها وذبح أخيها الصغير على ناظرها واغتصابها، كان كل هذا يدور في رأس ياسمين التي لم تدري من أين تبدأ لن تدرك ماري الأحداث التي سوف تنقلها لها ياسمين، فبالنسبة لماري تحوي هذه البلاد على عدة أحزاب يحاول فيها كل حزب إلصاق التهم السياسية لأحزاب أخرى فهذا الذي يجري في البلاد أمر طبيعي كما تظن في ظل صراع سياسي بدأ يتحول إلى معركة لاستعراض القوى، وياسمين لاتستطيع دعوة ماري إلى زيارة لإحدى المناطق التي تستطيع أن ترى المعاناة والمآسي التي يعاني منها السوريون بسبب ماتقوم به الحكومة السورية فزيارة كهذه سوف تتسبب بطرد ماري من سوريا وعدم السماح لها بالدخول مرة أخرى، أخذت ياسمين ماري لتسمع شهادة أم استشهد ابنها تحت التعذيب وأخرى لم تسمع عن ابنها منذ ستة شهور ولاتعرف بأي مكان هو على هذه الكرة الأرضية وعدة شهادات أخرى، وثقت ماري التي بدأت تتيقن بأن أمراً رهيباً يحدث في

هذه البلاد ومن ثم تمنت لياسمين وعمَر نصراً قريباً في قضيتهم المحقة وتمنت أن تلتقي بهم فور انتهاء ماسمته الصراع السوري ولكن ياسمين قاطعتها قائلة (الثورة السورية)، عادت ماري بعد أن تفاجأت بتغيير الضابط الذي كان مشرفاً على الرقابة عليها أو حمايتها كما كان يقال لها بحجة أنه قدم إجازة والأمر الذي كان حقيقةً قد نقل بعد فشل الضابط السابق بمراقبة تحركات ماري كافة.

بخطوات شوق كانت تصعد ياسمين لمقابلة مدرستها في الدين القديمة التي لم ترها منذ أكثر من عامين، كانت ياسمين تتوق لكي تخبر مدرّستها الأحداث التي مرت بها في العام الذي قضته منذ اندلاع الثورة وكم تغيرت حياتها وكم تعلمت من دروس في الأحداث التي تدور في البلاد، استقبلت المدرسة إيمان طالبتها التي تحجبت على يدها بالقبلات والترحيب الحار وباركت لياسمين بخطوبتها، كان كل شيء رائع إلى أن انتبهت ياسمين أن مدرستها كانت تتابع أخبار التلفزيون الرسمي، سألت ياسمين مدرستها عن السبب الذي يجعلها تشاهد الأكاذيب التي تنشرها الحكومة السورية لربما كانت المدرسة تتابع الاخبار لتضحك قليلاً كما ضحك جميع النشطاء على خبر انتشر في بداية الثورة على التلفزيون الرسمي ان المتظاهرين خرجوا ليحمدوا الله على نعمة المطر في حي الميدان في دمشق، تفاجأت ياسمين من موقف مدرستها من الثورة فهي ترى بأن مايجري فتنة يحركها نشطاء دربتهم الحكومة الأمريكية في دهاليز أجهزة الاستخبارات، أصاب موقف الأنسة إيمان ياسمين بالاشمئزاز ففي هذا العام سقط عشرات الآلاف من الشهداء ظلماً لكي تقول المدرسة أن كل هذه الفئات تحركت من دون سبب وبسبب مؤامرة خارجية، كم كانت مخدوعة هذه الفتاة بامرأة كانت تمثل مرجعاً رئيسياً لها وكم كانت محقة مدرستها الدينية الحالية بأن الكثير من الناس يأخذون من الدين عباءة لشعارات لايعرفون إلا طريقة لفظها وأفعال لاتتخطى حدود الشعائر الدينية وعند المحك والأمور التي تظهر معدن كل

إنسان تنكشف حقيقة كل إنسان، غريبة هي الأيام لايملك أحد فيها علماً كاملاً ففي كل يوم درسٌ جديد وأكثر الناس علماً هو من يعرف أنه لايملك من العلم شيئاً مهما تعلم، قبل أن تغادر ياسمين قالت لمدرستها (الدين لايقتصر على الشعائر فقط الدين أخلاق ومواقف ونصرة للضعيف المظلوم الدين هو كلمة حق في وجه سلطان جائر الدين هو طلب العدل لجميع الناس وإعطاء كل ذي حق حقه الدين لايعرف إلها في الكون غير الله، الدين ليس حفظ الدعاء بل فهمه ليس قراءة القرآن فقط بل فهم تفسيره الدين يآنسة هو أن لاتخاف من العباد بل من رب العباد) خرجت ياسمين وهي تشعر بالسعادة والحزن في آن واحد فكم هو جميل أن ترى الناس على وجهها الحقيقي بعيداً عن الشعارات المرصعة بالألماس المزور وكم هو محزن ذلك أيضاَ.

تجلس الحاجة أم احمد التي تحتسي قهوتها دون أن تبشر ياسمين بآخر مناماتها فقد رأت الحاجة أم أحمد في الأمس مناماً مزعجاً لم ترغب أن تفسره وقد استيقظت بسببه بعد صلاة الصبح قلقة (ليش ماتهدي شوي) تسأل ياسمين ويبدو على وجهها الانزعاج (خدي يزن وسافري الثورة لسا مطولة) لأول مرة منذ بدء الثورة تبدو والدة ياسمين قلقة لهذه الدرجة على فتاتها والتي بدأت تشعر بالخطر على ابنتها المدللة بسبب نشاطها الثوري كانت الحاجة أم أحمد جادة بكلامها فتلك الحاجة تفسر الأحلام بشكل يومي من كتب ابن سيرين حتى أنها أصبحت خبيرة بهذا المجال مماجعلها تفسر الأحلام دون أن تحتاج إلى أن تراجع كتب التفسير، طلبت ياسمين من والدتها أن لاتقلق فهي تأخذ بكل الأسباب من أجل أنت تبقى سالمة وأن يزن يخاف عليها من النسيم الذي يجري من حولها وأنها غير مستعدة على أن تغادر البلاد بعد أن شعرت بالولادة من جديد.

٢٠١٢-٣-١٥

مضى عام على الثورة بالنسبة للثوار الدمشقيين ولابد من تكثيف المظاهرات داخل العاصمة في الذكرى الأولى لثورة الكرامة، بدأت ياسمين في التنقل من مظاهرة طيارة لتشارك بأخرى في عدة مناطق غير مترابطة مما أثار جنون الجهاز الأمني الذي نشر عناصره في معظم الشوارع والساحات الرئيسية وكثف وجوده في المناطق الثائرة، اجتمعت ياسمين ورشا والعديد من الناشطات داخل منزل إحدى الصديقات ووضعو وشاحاً من علم الثورة على وجوههن وبدؤوا بتسجيل احتفالية العام الأول للثورة، انتشر المقطع على مواقع التواصل الاجتماعي بقوة وبدأت أجهزة الاستخبارات محاولاتها بالتعرف على الثائرات اللواتي يظهرن في المقطع المصور من داخل الغرف المغلقة في قلب دمشق لتحدي بشار الأسد ، لم يستطع الخبراء من إخراج أي تمييز للفتيات اللواتي ظهرن بالمقطع فالفتيات وضعن وشاحاً على الوجوه ونظارات من أجل تغطية كافة ملامح الوجه التي قد تدل على أي واحدة منهم، فتح مقطع الفيديو يزن المتواجد هذا اليوم في الغوطة ليسمع ويرى صوت حبيبته تغني وتسخر من الأسد الذي تمنى أن يكون بجانبها لكي يقرص وجنتيها مثل طفلة صغيرة وراح يكرر المقطع عدة مرات مشاهداً الفتاة التي لاتترك فرصة لتبتكر أمراً جديداً لمواجهة الأسد دون ملل.

تعميم على جهاز اللاسلكي، استهدفت طائرة أحد الأبنية بالصواريخ الفراغية ممأدى إلى انهيار المبنى فوق رؤوس السكان، بدأت بالآونة الأخيرة الطائرات بالإغارة بشكل عشوائي على البلدات في كل منطقة ثائرة، لم تكن حينها الحركة سهلة بالنسبة للثوار فمعظم طرقات الغوطة الرئيسية تحت سيطرة النظام، انطلق يزن ومجموعات كثيرة والفرق الطبية باتجاه البناء المنهار من أجل البحث عن المدنيين العالقين تحت الأنقاض، أمر الضابط المشرف على معارك الغوطة استهداف المكان الذي غارت به الطائرة براجمات

الصواريخ حتى يغتنم مايستطيع من أرواح من يحاولون إخراج المدنيين المرميين تحت الانقاض، كرّ وفرّ إلى البناء حتى هدأ القصف ومن ثم بدأ يزن ورفاقه والمجموعات الطبية بإزالة الأنقاض بالأيدي، استمر العمل بين نقل الجرحى والشهداء ورفع الأنقاض إلى المساء، رفع يزن حوالي الساعة الثانية ليلاً أحد الأحجار المهدمة وإذا به يجد شابة يوازي عمرها عمر ياسمين تحضن طفلها وتحميه بجسدها من الانهيار الذي حل بالمبنى كانت الشابة متوفاة تلتف حول طفلها الرضيع مثلما تلتف القطة حول أبنائها الحديثي الولادة لتحميهم من أي أذى، حمل يزن الطفل الذي كان يلعق جسد أمه الذي لم يفقد دفئه بعد ولم يستطع يزن أن يضبط دموعه من هول مارآى لم يبقى إلا هذا الطفل من العائلة التي استشهد فيها والده ووالدته ولن يعرف هذا الطفل بعد هذا اليوم مامعنى دفئ الأم الذي ذاق حرارته في الساعات الأخيرة له برفقة والدته تحت الانقاض التي يبدو أنها استشهدت منذ وقت قريب بسبب النزيف الذي كان يذرف كرامة الإنسانية من جروحها الكثيفة لربما قد قُدِّر لها أن تصمد لهذا الوقت لكي تحافظ على حرارة جسدها التي تشكل الحماية لطفلها الرضيع.

عندما بدأت الثورة السورية كان بعض الناشطين ممن لم يعايشوا أحداث الثمانينات يشعرون بالذهول من أعمال النظام الوحشية ولكن بعد مرور عام على الثورة لم يعد من المستغرب لدى أي إنسان في سوريا أن يرى من الأسد الابن أي عمل مهما كانت دنائته فالحكم كان كأنه يرسم هالة حول الأسد ليرى الشعب تحت قدميه مثل سرب من النمل إذا داسه كأن شيئاً لم يكن، لم يعد الناشطون بحاجة لدخول نقاش حول أخلاقيات التعامل مع الإنسان مع المؤيدين لنظام الحكم ولا حتى أخلاقيات الحرب فالنظام يحاول أن يقتل كل إنسان في أي منطقة ثائرة وقتل من يشيع الشهيد ومن يحاول إخراج من يعلق تحت الأنقاض، شهيد يشيع شهيد وشهيد يساعد شهيد، اتبع النظام الجوي للأسد أسلوب الإغارة على بناء وإعادة الإغارة

على نفس الهدف مرة أخرى أو استهدافه من قبل المدفعية من أجل إيصال رسالة من الحكومة إلى الشعب أن التكاتف الاجتماعي سوف يأخذكم جميعاً إلى الموت، استراتيجية يقف خلفها عقل إجرامي محترف يعي تماماً مايفعل وينكر أنه بالأساس يفعل أي شيء وهو أسهل شيء يستطيع القيام به نظام الأسد، فلايوجد محطة تستطيع تغطية تفاصيل مايجري ويستطيع أن ينكر أي مقطع فيديو حتى لو كان يصور قصر الرئيس من خلال اتباع نصيحة هتلر اكذب اكذب حتى يصدقك الناس في النهاية، وليس من المهم أن يكون حجم الكذبة صغيراً أم كبيراً فعندما تصر على الكذب لابد أن يخرج بعض الناس ليقتنعو أنفسهم بأنك صادق، واقع مرير لاجدوى من إنكاره.

فتح نقاش على إحدى المجموعات السرية الثورية حول الأخطاء التي تجري في الثورة وعن تقصير المثقفين ورجال العلم الديني حسب طرحٍ أطلقته مجموعة من النشطاء، وحول أخطاء سياسية يرتكبها البعض ممن من المفترض أنهم يمثلون الفئات الرائدة في المجتمع وبدأت الآراء تتباين لدرجة أضجرت ياسمين التي انسحب من النقاش بسبب حملات التخوين التي قام بها بعض الناشطين من ذوي التفكير المحدود، اجتمعت ياسمين بيزن وعَمر وبدأ الثلاثة يتناقشون حول الموضوع الذي أثار جداً وخلافات واسعة بين صفوف الناشطين فيما يتعلق بالفئات الرائدة في المجتمع، كان لعَمر وجهة نظر أقنعت ياسمين ويزن يتبنى بها موقفاً لاينكر التقصير الكبير الذي حدث من الفئات الرائدة داخل الحراك الثوري وخصوصاً الشخصيات المعتبرة والمشهورة ولكن في نفس الوقت كانت الحملات التي تخرج ضد شخصية معينة تماثل في أسلوبها تلك الحملات التي يتبعها النظام البعثي منذ ولادته ممأبرز إلى السطح إرثاً قد حمله الكثيرون من الإقصاء والتخوين لكل إنسان لايعجب مزاج ناشط معين أو مجموعة معينة كانت ياسمين تتسائل باستمرار كيف نستطيع التخلص من العقلية البعثية التي زرعت في الكثير منا منذ نعومة أظافره طوال فترة حكم الأسد الأب

والابن وحتى ماقبل ذلك، تابع عمَر وجهة نظره حول التصريحات السلبية لبعض رجال العلم الديني أو بعض المثقفين إذ يرى عمَر بأن المشكلة تكمن بإحدى الفئات دون الأخرى فتصريح لرجل دين لايعني له بأن الفئة الدينية كاملة تحمل الإرث البعثي نفسه أو تصريح رجل مثقف ينتمي لتيار معين لايعني أن جميع المثقفين أو جميع أعضاء هذا التيار يحملون نفس الفكر ولكن بنفس القياس لابد من الاعتراف بأن الكثير من المواقف السلبية تعبر عن مجتمع يوجد فيه مشكلة يجب أن يجد الحلول المناسبة لتفاديها أو علاجها من خلال الارتكاز على تغيير أولوياته فعندما ترى معظم رجال الدين يتكلمون بطريقة سطحية لاتعبر عن وعي فقهي لمقاصد الأحكام فعندها لابد ان ترى بأن معظم المثقفين في ذات المجتمع لايمثلون شيئاً من الثقافة التي من المفترض أن يكونو هم روادها وحتى أن شهاداتهم لاتتعدى حدود الورقة التي سلمت لهم في التخرج إلا ماقل وندر فهي علاقة تناسبية بين جميع فئات المجتمع، فالانفتاح الحضاري ينعكس على جميع الفئات من مثقفين ورجال دين وحتى عموم الناس أما في حالة التوقعة المفروضة على بلد مثل سوريا فالأمر يذكر عمَر بقصة تاريخية مشهورة حدثت أيام فتح الأندلس في المعارك التي كانت يخوضها المسلمون في ذلك العصر الذي يعبر عنه المؤرخون الغربيون بالعصر الذهبي للدولة الإسلامية في تلك الآونة كانت الجيوش تحاصر الأندلس وكان داخل المدينة مجموعة من كبار القساوسة في العرش الملكي يتناقشون فيما بينهم حول رأس دبوس كم من الجن يسكن في رأس هذا الدبوس، بدأ القساوسة يتحزرون فيما بينهم حول أعداد الجن الجالسين على رأس هذا الدبوس تعبر هذه المرحلة التي تمثل بقعة سوداء في تاريخ الأندلس الحضاري التي كانت منعكسة على جميع فئات المجتمع المتناحر في ذلك الحين إبتداءً من أهل العلم على شتى اختصاصاتهم مروراً بالخبراء العسكريين والتي تنعكس سلباً بقوة الجيش بغض النظر عن تناسبها مع الحالة العامة ومدى اقترابها

من الواقع لكن قصة كهذه يستطيع الإنسان أن يبني عليها نظرة عن واقع يسعى لتغييره فقوة المجتمع تنبع من القراءة منتهية بالكتابة حيث يتحول الفرد في المجتمع من حالة التلقي إلى حالة التقديم.

للقدر أحكام كثيرة منها مايؤلمنا ومنها مايزرع الفرحة في أفئدتنا تماما كما يفعل الحب الذي يزرعَ في فؤادنا خليطاً متناقضاً مابين الفرحة والألم وقد كتب القدر على يزن بأن يكون الحب الذي اختير له مع فتاة لاتعرف أن تمحو الابتسامة من وجنتيها التي تجعل من جمالها لوحة فنية تتم معاييره الغمازتان اللتان تظهران مع الابتسامة كما كأن هذه اللوحة مرت على يد كل فنان أسطوري ليضع لمسته في سبيل تمام جمالها، تضع ياسمين لمساتها الأخيرة على مشروع إغاثي في غرفة الجلوس مع حبيبها وتوأمها الثوري يزن وتشرح له وهي تمعن في تسلسل الأفكار التي تدور في رأسها حول تفاصيل المشروع الذي سيقام من أجل إغاثة مئات العائلات النازحة من حمص بسبب معارك النظام الشرسة على المدينة، تفاجأت ياسمين بيزن الذي تبين لها لاحقاً أن عيناه وعقله كانا في مشروع آخر فقد كانو يخيطون مؤامرة تزيد ابتسامة ياسمين روعة، يحتاج يزن إلى فسحة من الراحة مع فتاته بعيداً عن كل مافي هذه الدنيا من مآسي ليرسو العاشقان على جزيرة يتبادلون فيها أحاديثهم حول مستقبلهم وعشقهم وأبنائهم الذين سوف تنجبهم ياسمين بعد الزواج، أوقف يزن ياسمين عن الكتابة وأخذها إلى السوق وبدأ ينتقي لعشيقته بدلة الزفاف ممادفع ياسمين إلى إنهاك يزن في جولتها النسائية للبحث عن فستان الزفاف الذي يناسب ذوقها وذوق من تحب، وردة بيضاء برداء أبيض تخطي على الأرض خطواتٍ متقنة كما تخطي أميرة اغريقية على السجادة الملكية لترسو عرشها المرصع بالألماس بدأت الأميرة ببث نسمات ساحرةٍ للشاب الذي لم يستطع إلا أن ينحني لجمال مارأت عيناه، اشترى العاشقان فستان الزفاف الذي لم يكن مجهزاً لزفافٍ قريب بل كان إحدى أفكار يزن الجنونية التي يقوم بها من أجل ابتسامة

ساحرة لاتغيب عن عقله في أيام الفراق أما ياسمين التي تخلت عن لباس العقلانية لتعود إلى حالتها الطفولية وبرائتها التي فطرت عليها، في العالم الشرقي ليس بإمكان الفتاة أن تغير امراً أساسياً في طبيعتها كأن تخبر صديقاتها المقربات تفاصيل حياتها الغرامية مع الشاب الذي تعشق فماإن عاد الضوء لينير سماء دمشق كانت صديقات ياسمين ابتداءً من رشا مروراً بصديقاتها الثائرات في منزل هذه الفتاة من أجل رؤية فستان الزفاف بعد أن كانت قد قضت الليلة الماضية تشرح لكل واحدة على حدى تفاصيل كل رداء من الأعلى إلى الأسفل مروراً بالتفاصيل الصغيرة لكل ناحية بالإضافة إلى أفأفات ياسمين من خوفها بأن يزيد وزنها أو إلى حدوث اختلافٍ في رشاقتها في يوم الزفاف الذي لم يعد بالإمكان تقدير وقت له في ظل وجود الأسد الابن في السلطة.

استشهد شاب يدعى باسل شحادة مع مجموعة من النشطاء في حمص باسل من أبناء مدينة دمشق من معتنقي الديانة المسيحية استشهد خلال أول عملية تغطية ميدانية للأحداث الدموية نتيجة الهجوم الذي تشنه قوات الأسد على المدينة، كان باسل الشاب الذي عاد من الولايات المتحدة الأمريكية وألغى منحته الدراسية في سبيل العمل مع الناشطين في الداخل السوري كان باسل يعشق حمص الملقبة بعاصمة الثورة ويعشق العمل بها وقد كانت وصيته لأصدقائه وعائلته بأن يتم دفنه داخل المدينة، انتشر خبر استشهاد باسل على صفحات مواقع التواصل ووسائل الإعلام العربية والغربية مثل النار في الهشيم فقد أمسى باسل في تلك الآونة رمزاً ثورياً كما حال غياث مطر وابراهيم القاشوش، لقد كان لهذا الشاب الرحالة أثراً كبيراً في عالم الثورة فقد بات يشكل وصلاً حضارياً بين المسلمين والمسيحيين، كانت رسالة باسل تحاول كسر الجدران التي تقف عائقاً في وجه مشاركة أبناء طائفته في الحراك ضد نظام الأسد الذي كانت مهمة أجهزته الاستخباراتية الرئيسية تحييد الأقليات من الصراع وزرع الخوف والرعب في قلوبهم من

المستقبل الذي يحاول رسمه لهم بأنه نهاية وجودهم في حال ذهاب النظام الذي بات محتمياً بهم لامحتمين به، كان باسل يتظاهر في حي الميدان ويصلي داخل المساجد من أجل المشاركة بالتظاهرات ويدخل المسجد من بين عناصر الامن السوري مخفياً الصليب المنسدل من عنقه حتى لايتم اعتقاله من قبل الأمن السوري إذا تم اكتشاف أنه من المسيحيين الذين يدخلون المساجد من اجل التظاهر، اعتقل باسل في تظاهرة سابقة للمثقفين في حي الميدان بدمشق كانت قد نظمت في بداية الثورة وهو يحاول حماية صديقتيه، انطلق بعد الإفراج عنه إلى أمريكا نتيجة الضغوطة التي تعرض لها من قبل عائلته خوفاً منهم على حياته، إعتذر باسل بعد أن وصل إلى أمريكا من المشرفة المسؤولة على منحته الدراسية مبرراً انسحابه بعدم استطاعته على ترك الثورة التي تجري في بلاده فهو لن يستطيع مواجهة أبنائه إن سألوه ماذا كان يفعل عندما خرجت ثورة الكرامة في سوريا.

٢٠١٢-٦-٢

كان لاستشهاد باسل أثراً كبيراً في نفسية لويز التي كانت من الصديقات المقربات لباسل، كانت لويز ترى في باسل أملاً لبناء مفاهيم جديدة وإحياء مفاهيم كانت سائدة للعيش المشترك مع الفئات الاخرى في المجتمع من دون الشعور بخطر وهمي رسمه نظام الأسد الاب وتابع بنفس المنهج الأسد الابن يحيد المسيحيين والطوائف الأخرى من لعب دور فعال في مستقبل سوريا.

انطلقت الفتيات لحضور تشييع رمزي لباسل في الكنسية المحاذية لمنزله مقابل فرع المخابرات الجوية في امتداد الشارع الذي يفصل بين حي بغداد وحي باب توما في دمشق، تجمع النشطاء مقابل الكنيسة وشكلوا تحدياً

كبيراً للجهاز الأمني، دخلت ياسمين وصديقاتها إلى داخل الكنيسة للأخذ بالعزاء من أقرباء باسل الواقفين على الباب الخارجي من الكنيسة، أغيظ الضابط المسؤول عن تأمين المنطقة التي من واجبه تحييدها عن المشاركة في الثورة والذي كان قد نشر المئات من عناصره في الأزقة الفرعية لها أطلق أحد العناصر قنبلة مسيلة للدموع من اجل تفريق الحشود التي بدأت بالتجمع حول الكنسية من جميع ابناء دمشق، استفز المنظر ياسمين التي بدأت بالهتاف (الله سوريا حرية وبس) متحدية جميع العناصر الأمنية ومثيرةً حالةَ من الغضب لدى باقي النشطاء، بدأت العناصر بإطلاق الغازات المسيلة للدموع واطلاق الرصاص لتفريق التظاهرة الوشيكة واعتقال جميع المارة في االمنطقة وقامو بمنع أهل باسل من إجراء أي عزاء ذلك اليوم، هربت ياسمين ولويز من الحارات الفرعية تحت تبعات السعال من الغازات التي ملأت حنجرتها، كانت تمشي الفتاة الغاضبة على استشهاد باسل الشاب الذي كان لها معه عدة نشاطات ثورية ومثل لها مثالاً من الأخلاق وشعلة لامثيل لها من الإنسانية والذكاء.

بدأت حملة رمزية على مواقع التواصل غير من خلالها معظم النشطاء صورة غلاف الحساب الذي يستخدمونه بعبارة (باسل اشتقلك الطريق) كتعبير عن شوق الطريق الذي سلكه باسل ماقبل الثورة من سوريا لتركيا ومن ثم إيران ماراً من أفغانستان خاتماً طريقه بالهند كرحلة فردية على الدراجة النارية، في اليوم التالي ذهبت ياسمين وصديقاتها إلى منزل عائلة باسل لعزاء والدته باستشهاد الشاب الذي كتب له القدر أن يغدو اسطورة في التضحية لن ينساها له تاريخ بلاده.

على بعد أمتار من منزل عائلة باسل تقف سيارة تابعة لفرع المخابرات الجوية القريب من المنطقة لمراقبة العزاء ومنع التجمع أمام المنزل، عانقت ياسمين ولويز والدة باسل كأنهما تعانقان والدتهما بعزاء أخ لهما، لم

تستطع ياسمين أن تكتم دموعها فأصعب مافي الموت هو أن تجالس والدة شهيد، فالأم التي كان يصرخ لها ابنها عند كل مشكلة تصادفه عندما كان طفلاً صغيراً والتي كان يهذي باسمها (أمي) عندما يكون مريضاً وهي دائماً أول مايطلب عندما يكون مخدراً بعد عمل جراحي بات فجأة ابنها جسداً بارداً لاحرارة فيه، تتقطع الشرايين في فؤادها في اللحظة التالية للفراق، تفهم ياسمين هذا الشعور الذي عايشته أيضاً مع والدة يزن التي تنهار دمعة الحرقة من عينها فور تذكر ابنها الذي استشهد قبل ثلاثين عاماً في المقاومة الأولى ضد الاسد الأب، تذكرت ياسمين في تلك اللحظات والدتها التي لم تعد تجد حديثاً إلا الطلب منها السفر خارج البلاد.

لأول مرة تخاف ياسمين من الموت ليس خوفاً منها على خسارة العيش بل خوفاً منها على دموع والدتها ووالدها الرجل الجلود، أحياناً يضطر الإنسان إلى ظلم والديه فقد كتبه له القدر أن يموت من أجل أن يعيش الآخرون بكرامة وهذه هي الضريبة التي يدركها كل إنسان ثائر فلا يوجد أمر بهذه الدنيا من دون ثمن وقرابين الحرية تخرج من شرايين الشهداء لو كانت الحرية بلاثمن لما اضطر الإنسان القبول بأي واقع مرير يمر عليه.

نشر نظام الأسد إشاعات للمساس بسمعة باسل بين أهله وأبناء طائفته على أنه ذهب إلى أمريكا وأحضر السلاح من غرف الاستخبارات الماسونية وأنه كان يعمل في تهريب الأسلحة حتى أن بعض السذج كان يتهمه بتصوير مقاطع طائفية في حق أبناء طائفته، يصدَق الإنسان الذي يخاف من التغيير أصغر أكذوبة لكي يبرر جلوسه في ظل العبودية وابتعاده عن المغامرة في الإعصار الثوري الذي كان هو المعشوق الأول لباسل الشاب الذي كسر كل الحواجز الوهمية لكي يكون اسماً في تاريخ ثورة لم يشهد لها التاريخ مثيل.

صعدَ نظام الأسد حملاته على الريف الدمشقي وبدأ يجهز لحملة واسعة لإجتياح منطقة العب القريبة من مدينة دوما التي كانت تعتبر في تلك الآونة

التجمع الأكبر لثوار دمشق وريفها بسبب طبيعتها المساعدة على المقاومة بدأ الثوار يخططون لمعركة داخل دمشق ونظم مجموعة من النشطاء الاعلاميين عدة اجتماعات لقادة الحراك العسكري في الغوطة، حضر الاجتماع مايتجاوز الأربيعن قائد أذكر منهم شاب يدعى أبو علي الغزلاني من كتيبة امهات المؤمنين وأبو ياسين الميداني قائد كتيبة العدالة وأبو صبحي طه بالإضافة لأبو علي خبية من شهداء دوما بالاضافة للملازم أبو عدي من أمهات المؤمنين وقائد كتيبة أسود الله من مدينة دوما أبوعمار صعب، بدأت الإجتماعات التحضيرية تتوالى وتباينت المواقف المؤيدة للمعركة والمعارضة لها وانتهت ببداية مرحلة التحضير والتجهيز للمعركة وتم الإتفاق على أن يبدأ مجموعة من الثوار من أبناء حي الميدان الإنتشار داخل الحي بسبب خبرتهم بالأزقة الفرعية والشوارع في مدينتهم وبالمقابل تعهد قادات الكتائب بالإستجابة الفورية لحظة الانتشار ومن المفترض أن يتابع قادات الكتائب الموجودة بالغوطة بعد بدأ المعركة بإقتحام دمشق من جهة دمشق القديمة إنطلاقاً من الغوطة، بدأ أبو ياسين قائد كتيبة يزن بإرسال سلاح الكتيبة إلى دمشق وأخبر قائد كتيبة أخرى في دمشق لتجهيز السلاح الذي يملكه للمشاركة في المعركة، قرر ثوار دوما من شهداء دوما وأسود الله بالتتالي مع ثوار مدينة حمورية من أبو موسى الأشعري التوجه إلى بلدة يلدا الواقعة في المنطقة الجنوبية لدمشق للتجمع هناك من أجل الانطلاق إلى حي الميدان فور إعلان لحظة البدء في المعركة، كما بدأ أبو ياسين بتأمين مجموعة يزن في إحدى البيوت القريبة من حي الميدان داخل دمشق.

شعور من الحماس يختلج مشاعر يزن كما أنه في مرحلة انتظار الإمتحان النهائي للشهادة الثانوية فهذه المعركة بالنسبة له هي المعركة الحاسمة التي في حال نجاحها ستشكل مرحلة تحقيق أحلام السوريين في انتصارهم على نظام ارتكب من المجاز مالم يرتكب في أي بقعة من الكرة الأرضية

في العصر الحديث، طلب يزن من عمَر إخفاء المعركة عن ياسمين خوفاً من أي حركة متهورة من عشيقته للمشاركة في الملحمة التي قد تجري في دمشق فهذه المعركة يدرك كل من يشارك فيها أنها عمل جنوني فدمشق المحاصرة بالثكنات والأفرع الأمنية سوف تشتعل فيها نيران الثوار بأسلحة خفيفة بمواجهة جميع أنواع السلاح الثقيل ولكن العقل في العمل الميداني في الثورة السورية يعني الوقوف جانباً وانتظار معجزة ربانية أو تدخل أجنبي لن يحصل فاستخدام العقل في حالة كالحالة السورية في العمل الميداني يعني التخلي عن الثورة والجنون الثوري هو السبب الرئيسي لقدرة الشعب السوري أن يصمد في وجه الآلة الاستبدادية في البلاد.

في إحدى الشوارع الرئيسية والقريبة من فرع فلسطين التقى أبو ياسين بإثنين من قادة شهداء دوما أبو عمار خبية وأبو علي خبية اللذين كانا تائهان عن الدليل الذي من المفروض أن يقوم بتأمينهم، كان القائدان المغامران يتجولان بسيارتيهما مسلحين والألغام تملأ الصندوق الخلفي لسياراتهم، ضحك أبوياسين محترماً شجاعة رفيقي السلاح وجنوهم الثوري فهذه المنطقة أمنيةّ بحتة وإن أي رصاصة تُضرب إلى سياراتهم قد تؤدي إلى انفجارها بسبب امتلائها بالألغام، قام أبو ياسين بتأمين القادة في حي قريب من حي الميدان منتظرين بداية المعركة.

بدا واضحاً في تلك الآونة التشتت الأمني الذي يعاني منه نظام الأسد مماأعطى الثوار فرصة جيدة للتحرك داخل دمشق فالنظام السوري الذي يبدو عليه في الظاهر أنه نظام مؤسساتي يشكل مجموعة من العصابات والميليشيات الطائفية التي تسيطر كل منها على قطاع معين وتجري بينها صراعات للنفوذ مثل محاولة عنصر تابع لفرع معين عدم الاحتكاك مع عنصر تابع لفرع آخر خوفاً من الاصطدام فعندما يتحرك الثوار مشهرين أسلحتهم يحاول العناصر والضباط تفاديهم ظناً منهم أن الثوار يتبعون

لفروع أمنية أخرى، لايستطيع نظام الأسد أن يشكل نظاماً مؤسساتياً بسبب بنيته الأمنية المعقدة التي تعتمد مبدأ فرض النفوذ لمجموعة من الفروع الأمنية المتناحرة مما يضمن لرأس الهرم في السلطة أن لايجري أي انقلاب عليه وتكون هذه الفروع ضماناً لبقائه بالحكم وهي ذات المشكلة التي قد تكون السبب الرئيسي لضمان انهيار سريع في السلطة في حال تنفيذ ضربات عسكرية داخل العاصمة.

جهز الدكتور أحمد فريقه الطبي للإستعداد لأي عمل طارئ قد يجري بالأيام القادمة وأرسل أبو ياسين مجموعة من الأسلحة إلى حي الشويكة وباب سريجة وأمر بإخفائها مهما حصل لحين وصول أمر بنشر السلاح فور تقدم الثوار من حي الميدان.

لم يفارق البريق عيني يزن فقد بدأ الشاب بتخيل لحظات النصر ويوم الزفاف وسافر بعيداً ليعيش مع عشيقته التي ترتدي الثوب الذي اختاراه على المنصة وهو يلف شال الثورة حول عنقها، لم يكن يخطر ببال يزن سابقاً أن يكون لعلم بلاده وجود في حياته فالوطنية التي كانت تزرعها الآلة التعليمية بداخله كانت تقاس بمدى ولائه للقائد الخالد المنحدر من آل الأسد، أما اليوم وبعد أن تغيرت المعايير فعلم البلاد بات يمثل له الأيقونة التي يعبر فيها عن الوطن الذي يحترم أبنائه.

لايستطيع الإنسان العادي أن يفهم مالذي يمثل علم الاستقلال بالنسبة لثائر فالثورة تزرع بشبابها مشاعر لاتحيا عادةً إلا بالحرب، قد تبدو هذه الكلمات كلمات مقتبسة من كتب القومية أو أحد كتب البعث إلا أنها مقتبسة من حالة لاتستطيع أن تدركها إلا إذا كنت مستعدٌ لدفع الغالي والرخيص من أجل قضية محقة.

وصلت أخبار تفيد بأن مجموعات كبيرة من الثوار يتجمعون داخل حي التضامن وبلدة يلدا إلى فروع المخابرات السورية مماجعل الآلة العسكرية تبدأ بالقصف على تلك الأحياء بكثافة نيرانية دوت سماء دمشق طوال ذلك النهار، اعتقد أبو ياسين بأن النظام قد علم بالخطة وبدأ حملة ضد الثوار من كتيبته الذين وزعهم في المنازل وهو الشيء ذاته الذي اعتقده يزن ولكن حول المجموعات الأخرى، انطلق وفد من عدة رجال من حي الميدان إلى أبي ياسين وطلبوا منه أن يباشر المعركة فحي التضامن يُدمَّر بشكل همجي من شدة القصف.

استلم يزن وأصدقائه أمراً بالتحرك باتجاه حي الميدان واجتمع أبو ياسين ورجاله داخل الحي مساءً فقام بنشر حوالي الأربعين شاب من كتيبته وكتيبة أخرى من أبناء دمشق ذوي الخبرة بالأزقة الفرعية للحي الشعبي بعد مرور ساعة وبسبب استعجال موعد المعركة لم يتمكن الثوار الموجودين بالغوطة بالنزول مباشرةً لحين اتمام تجهيز المقاتلين فبدأ يدور في سيرورة أبو ياسين احتمالات التصرف في حال عدم وصول التعزيزات من كتائب ثوار الغوطة ودمشق الموجودين في المنطقة الجنوبية لدمشق والغوطة حتى تلقى اتصالاً من صديقه أبو علي سفنجة من بلدة دير العصافير، أخبر أبو علي أباياسين بأن يعطيه مهلةً لاتتجاوز الساعة حتى يصل إليه فالمجموعات التي تجهزت من بلدة دير العصافير وشبعا وحتيتة التركمان من كتيبة امهات المؤمنين باتت جاهزة للانطلاق، تحرك الرتل العسكري من الطرق الرئيسية مشرعين أسلحتهم باتجاه حي الميدان مر الرتل الثوري بالمحاذاة من عدة حواجز للنظام حتى أن أحد العناصر في جيش الأسد ألقى التحية للثوار الذي ظن أنهم أحد ميليشيات الأسد الابن الطائفية، بعد مرور مايقارب الساعة وصلت المجموعات التي وعد بها أبو علي سفنجة وفي هذه الأثناء كان الرتل العسكري المجهز من ثوار دوما يبحث عن مكان التجمع، واجهتهم ببعض الصعوبات في الوصول للمنطقة بسبب قلة الخبرة بالشوارع

الدمشقية ولكن إصرار ثوار دوما على المضي قدماً بالعهد الذي تعاهد عليه القادة كان كافياً للمخاطرة من دون الخوف من أي نتيجة.

في ذلك المساء كانت ياسمين تتحدث مع أحد الناشطات من حي الميدان التي أخبرتها بدورها أن الثوار منتشرين بأسلحتهم في أزقة الحي والمزيد من الثوار يتوافدون وقد رأت يزن مجعباًيحمل بندقيته واقفاً لتأمين أحد المداخل في الحي لتأمين دخول الثوار، جن جنون ياسمين وشعرت بحالة الغضب كبيرة بسبب إخفاء يزن عنها أمر المعركة، تسللت خارج المنزل واتجهت إلى حي الميدان بسيارة والدها، ركنت السيارة في منطقة قريبة من الحي واتجهت لداخل الأزقة الفرعية بالقرب من ساحة السخانة، اقتربت معارك النصر واقترب وقت الفرج تلك الحالة التي كانت تعيشها الفتاة الثائرة التي كانت تفكر بالثأر من يزن بسبب إخفائه عنها مشاركته بهذه المعركة المصيرية، كانت تهمس في نفسها أنها لن تسمح ليزن بأن يأتيها بالنصر على طبقٍ من ذهب وعشقهُ لها لايعطيه الحق بأن يحيدها عن المخاطرة والموت في سبيل هذه القضية فالموت حقٌ وقدر لايستطيع الإنسان الهروب منه، التقت ياسمين بعشيقها وهي تخصه بنظرات التجاهل وعقدةٌ في العين التي تبشر قارئها بأن الفتاة التي تقف بجانبك في حالة غضب فلاتقترب، انضمت إلى فريق الدكتور أحمد الطبي لتخوض اليوم أول معركةٍ لها في قلب العاصمة دمشق، استسلم يزن للأمر الواقع فتلك الفتاة العنيدة لن تسمح له مهما كانت أسبابه أن يحيدها من المشاركة في المعركة التي تمثل لها معركة الخلاص وقد كان هذا من الأسباب الرئيسية التي كانت تزيد حبها في فؤاده لكن العاشق لن يستطيع إلا أن يخاف على عشيقته حتى من رذاذ المطر.

بدأ يزن بالتحايل والإعتذار من ياسمين التي كانت تتجاهله بإصرار وبعقدة الغضب التي يرسمها الحاجبان المحيطان بعيون تقتل كل من ينظر إليها

من العشق (بيهون عليكي موت وأنتي ماعم تحاكيني) لم تجب ياسمين وتابعت تجهيزها لإحدى النقاط الطبية في الحي.

يحاول الإنسان العنيد إغلاق أذنيه ومحاولة إظهار أنه لايستمع إلى من يكلمه في حالات الغضب ولكن كلمات يزن كانت تعني لياسمين أمراً لايستطيع عقلها تخيله أو تخيل حدوثه فهي لاتريد حتى التفكير باحتمال حدوث أمر كهذا، مضت وهلة قصيرة خرجت بعدها ياسمين ووقفت بمحاذاة الشاب الذي تعشق وقدمت له بعض الطعام (تفضل أستاذ كول) ضحك يزن الذي كان يعلم بأن فتاته الرقيقة لن تستطيع المثابرة على خصومته في ظل معركةٍ كهذه وأجابها بطريقة ساخرة (ليش هيك مبوزمة) فأجابته ياسمين التي بات واضحاً أنها استسلمت لحيل الشاب الذي تحب بتعنت ساحر (هيك أخو مراقي) لم تمض إلا دقائق قليلة حتى بات يزن وعشيقته يتأملون الثوار الوافدين من الغوطة وأحياء دمشق والنشطاء الذين توجهوا إلى الكتائب من أجل حمل السلاح للمشاركة بالمعركة، زار العاشقان منزل عائلة يزن وأعطاها مسدساً من أجل أن تستخدمه عند الحاجة وعلم زوجته المستقبلية كيفية استخدامه وبدأ يسخر من الفتاة التي كان السلاح يزيدها جمالاً وجاذبية بالرغم انه لم يكن مناسباً لفتاة توزع من الرقة والجمال على ألطف الكائنات في الوجود.

يتنقل أبو ياسين من ساحة لأخرى لإستقبال الثوار المتوافدين، وصل حوالي الساعة السادسة ثوار دوما من الجهة المقابلة لمسجد الحسن برتل عسكري كبير مؤلف من شهداء دوما وأسود الله.

بدأ الموظفون ينطلقون إلى وظائفهم وعناصر المخابرات يتنقلون في أرجاء دمشق وحي الميدان، لم تكن المعركة معلنةً في تلك الساعة مماجعل عناصر الأمن يظنون بأن أحد الفروع الأمنية يقوم بمداهمة وتطويق اعتيادي للحي، بدأ عناصر الأمن يلقون التحيات على من يحسبون أنهم زملاءً لهم

(مرحبا ياحبيب زميلك من فرع فلسطين) هذه كانت التحية التي ألقاها أحد العناصر من على دراجته النارية على يزن الذي أجابه (تفضل ياحبيب لنترقع متي) استطاع الجيش الحر خلال ساعتين أن يلقي القبض على أكثر من مائة عنصر ومخبر بتلك الطريقة ذلك اليوم الأمر الذي جعل الدراسة الأمنية للمنطقة تذهب مهب الرياح.

أصدر أبو علي خبية بياناً باللغة العامية القريبة من القلب معلناً به بدأ معركة دمشق وانتشر خبر المعركة في جميع وسائل الإعلام العالمية وبدأت دبابات الأسد ترنو الوصول لحي الميدان.

اليوم الثاني للمعركة في دمشق التي تعيش على أصوات القصف والطيران المروحي الذي يضرب المنطقة، تسببت معركة الميدان بزلزال شكل ضربةً أفقدت النظام توازنه وسحب جميع عناصر الأمن المنتشرون في شوارع المدينة إلى مقراتهم الأمنية حتى أن شرطة المرور انسحبت من الشوارع في جميع أنحاء العاصمة.

تتنقل ياسمين من سرير إلى آخر لتقوم بمساعدة الدكتور أحمد بمعالجة الجرحى من المدنيين والثوار نتيجة الاشتباكات والقصف بالطيران المروحي الذي يتعرض له الحي، دخلت الفتاة يومها الثاني من دون نوم متنقلة بين النقاط الطبية والخطوط الأولى للاشتباك مصطبحةً معها المسدس الذي حصلت عليه من يزن وهي تشعر بسعادة كبيرة رغم الآلام التي تحيط بها من إصابات تستقبلها النقاط الطبية، بينما كانت ياسمين واقفة لضماد جرح أحد المصابين من الثوار على الخط الأول للاشتباك اخترقت رصاصة من المروحية جاكيت ياسمين الذي تلبسه لتكمل طريقها إلى الحائط من دون أن تؤذي ياسمين مما دفعها عن الابتعاد عن المكان الذي كانت تقف فيه متابعةً ضمادها للجرح، عندما تشتعل المعركة يصبح الموت أمراً طبيعياً وتصبح الرصاصات التي تتناثر فوق رؤوس الثوار كأنها عرض للمفرقعات

لاتثنيهم عن الوصول إلى الهدف الذي يرنون، لم يقبل والدا يزن الخروج من المنزل وقال الحاج أبو يزن لابنه بأنهم سوف يعدون الطعام للثوار ولن يقبلو الخروج إلا على المقابر مادامت المعركة مستمرة، نظمت العائلات التي أصرت على البقاء نظاماً لتوزيع الطعام على المقاتلين وتوزيعها على نقاط الاشتباك، في وجبة الغداء ذهب العاشقان إلى منزل عائلة يزن بعد أن كان التعب قد أنهكهما والتراب لايترك فسحة في ملابس ياسمين ويزن ورغم كل ذلك فالنظرات الصامتة باتت حديث العشق المقدر لهما، انتبه يزن على اختراق الرصاصة للجاكيت الذي تلبسه ياسمين مماجعله يعانقها حامداً الله على سلامتها وقال لها (ماحقللك شي غير الله يحميلي ياكي) الاستسلام للقدر هي الحالة التي تعبر عن حال ياسمين ويزن كلٌ منهما فوض أمره للأيام التي سوف تحكم مستقبل من يحب، أصيب مراد في قدميه برصاصة قناص عندما كان يحاول إجلاء الأهالي الذين يريدون الخروج من المعارك الضارية والذي كان من حسن حظه أن الرصاصة لم تخترق عظامه مماأعطاه الإمكانية للعودة لساحة العمل في المعركة على دراجة نارية يستطيع التحرك فيها من دون أن يحرج قدمه المصابة.

لباس ياسمين مضرج بدماء الشهداء والمصابين وحالتها لايرثى لها بعد مرور يومين متواصلين بلا نوم واستراحات قليلة وهي تواصل عملها وتشعر بالإنهاك محاواةالتكبر عليه، لم تقبل الحاجة أم يزن ترك ياسمين على حالتها فالمعركة قد تطول ولا بد لها من الاستراحة واستطاعت الحاجة أم يزن إقناع ياسمين بعد إلحاحها عليها، سلّمت ياسمين جهاز اللاسلكي الخاص بها لرشا وطلبت منها أن تجيب على كل من يطلب أم آدم لتلبي النداءات الإسعافية نيابةً عنها ولم تمض إلا ثوان حتى كانت ياسمين غارقة بالنوم من شدة الإرهاق، مرت ساعة على نوم ياسمين ويزن يراقب إيمائات فتاته وابتساماتها وهي نائمة، رقتها لاتفارقها رغم كل ماتمر به من هذه المعركة الشرسة وايمائاتها لم تكن ترسم إلا الضحكات على وجهها وبريق

عينيها يسحر يزن الذي يصحح لها نومها ويضع لها الطرائح تحت رأسها برفق، يدخن يزن سجائره في ظل سكون المعركة الليلي وهو يشاهد جمال عشيقته الثائرة التي كانت تقطن عالم أحلامها وتحتفل بيوم الانتصار الذي بات قريباً كانت تحلم باليوم الذي تنسى فيه البلاد كل آلامها وأحزانها بمجرد الانتصار على رجل لم يجعل في هذه البلاد على امتدادها منزلاًواحداً إلا وفيه قصة أسطورية من الحزن والألم كانت تحلم بلحظة صعودها وعيشقتها على منصة حفل الزفاف بعيداً عن أصوات القذائف والرصاصات التي تتطاير من حولها طوال الأيام الماضية.

استيقظت ياسمين التي قضت أربعة ساعات من النوم لتشرب فنجان القهوة المعد على يدي يزن الذي ملأ الوعاء الموجود بالطاولة المحاذية له بأعقاب السجائر وهو يتأمل جمال حبيبته وهي تنسيه آلام هذه المعركة وتعيد له الرابط الأخير له مع حياته السابقة.

انتشر في اليوم التالي خبرٌ مفاده أن انفجاراً وقع في خلية الأزمة التي تعد السلطة العليا لمحاربة الثورة في البلاد وقد أدى الانفجار إلى خروج صيحات التكبير في جميع أنحاء دمشق وأزال جميع المتقنعون أقنعتهم داخل المعركة فقد ظن الجميع بأن النصر بات قريب كما تسبب الانفجار بانشقاقات كبيرة في الصفوف العسكرية للنظام ففي إحدى الثكنات في مدينة حمص تقدم الضابط إلى البوابة الرئيسية للثكنة ولم يجد أحد من عناصر الحراسة بعد انشقاق جميع العناصر المشرفين على حراسة الثكنة، صعد شاب إلى غرفة العميد ليأخذ إجازة يستطيع من خلالها الانشقاق من الجيش فأعطى الضابط العنصر الإجازة بالرغم من التعليمات التي لاتسمح بإعطاء الإجازات لأي جندي في الجيش السوري خوفاً من انشقاقه وأخبر العميد الشاب بأنه يعطيه الإجازة ويعلم بأنه لن يعود، أدت تتالي الأحداث إلى انهيار في معنويات جميع المؤسسات العسكرية والأمنية في نظام الأسد وبدأ الضباط

يتسابقون لإيجاد طريقٍ إلى خارج البلاد وترك عناصرهم يواجهون لوحدهم المستقبل الذي رسموه لهم، دائماً تسير الأمور هكذا فالكبار يستمرون بالعيش والعناصر الرعاع يجنون ثمن بقائهم في صفوف الظلم فالضابط الذي يرتكب الجرائم يستطيع أن يلوذ بالفرار عنما تغلي نيران المعارك وانتصار الحق أما العنصر الذي أصبح كالعبد يعمل لثلة من المجرمين يصبح في الواجهة ليواجه العقوبة بسبب الجرائم التي ساقه إليها سيده.

انتشرت إشاعة تفيد بأن العلويين والشيعة يهاجمون منازل السنة في كل مكان في دمشق كما انتشرت ذات الإشاعة في الأحياء التي يقطنها مواطنون من الطائفة الشيعية، أدت هذه الإشاعة لنشوء حالةٍ من الهلع في صفوف أهالي مدينة دمشق ممادفع جميع الشباب والرجال إلى تجهيز ماتيسر لهم من عصي وسكاكين للدفاع عن أحيائهم في كل أرجاء العاصمة كما دفعت هذه الإشاعة الثوار الذين كان من المفروض أن يبقوا سلاحهم مخبأً في حيي باب سريجة وشويكة إلى إبراز كل السلاح الذي أرسله إليهم أبو ياسين قبل بداية المعركة وتجهيز المتاريس خوفاً من أي هجوم على أحيائهم، في ذلك اليوم اجتمع وجهاء من شيوخ الطائفة الشيعية مع وجهاء من شيوخ الطائفة السنية في حي الشاغور وبدأ الطرفان يتناقشان حول مابثته هذه الإشاعة من توتر في دمشق ولأول مرة يستطيع شيوخ الطائفتين الجلوس بمكان واحد من دون أن يستطيع النظام دس السم بينهم ممامأدى إلى جلسة مصارحة من دون أن يخفي كل طرف مخاوفه، لام شيوخ الطائفة السنية الطرف المقابل سماحه لأبنائه بحمل السلاح في صفوف الأسد منذ بداية الأحداث وتأييدهم له فقال أحد الشيوخ لهم (نظام الأسد سلحكم وأنتو بتعرفو أنو ماطلعنا ضدكم وتسلحتو وساويتو فصل بينا وبينكم وهلئ النظام على وشك الإنهيار ياترى لو بدنا نأذيكم مو هي كانت أحسن فرصة نأذيكم فيها؟) اعتذر أحد شيوخ الطائفة الشيعية عن تصرف بعض أبناء طائفته بالحي مبرراً ذلك باستغلال النظام لطيش بعض الشباب وأكد أن أهالي

الشباب لم يكونوا يقبلون هذا التصرف حتى أن الشيوخ لم يعد لديهم سيطرة على قرارات شبابهم وتوصل الطرفان في تلك الآونة إلى اتفاق بأن لا يسمح أحد من الطرفين لأي شاب طائش من إشعال نار الفتنة بين الطرفين .

رغم الانتصارات المعنوية الكبيرة كانت المعركة داخل حي الميدان حامية الوطيس والجيش استطاع السيطرة على بعض النقاط الهامة فالثوار لايملكون أسلحة مضادة للدروع والألغام التي وجدت في المعركة لم تعد تكفي لإستكمال المعركة ومن المفروض عليهم أن يبدؤا بتوسيع رقعة المواجهة إلى مابعد جسر المتحلق الجنوبي لمدينة دمشق، اجتمع قادات المعركة وقررو بالإجماع نقل المعركة إلى مابعد جسر الميدان من خلال إرسال مجموعات مهمتها الإلتفاف على النظام من الخلف بعد أن تخاذل بعض قادات الكتائب من الالتفاف من جهة دمشق القديمة ونكسوا العهد الذي كان قائماً بينهم، تلقى أبو ياسين مكالمة من أحد قادات الحراك الثوري وطلب منه الإنسحاب من الحي مبرراً ذلك بأن المعركة خاسرة فأجابه أبو ياسين غاضباً(إذا الك رجال تعال وسحبن) فقد كان من المفروض على هذا القائد أن يقتحم مع عدة تشكيلات أخرى من جهة دمشق القديمة لكي يشكل التفافاً يشكل ضربةً قوية أخرى في صفوف الأسد، شهد اليوم الرابع تطورات أدت إلى اضطرابات في صفوف الثوار فقد تقدم الجيش السوري ليصبح على مشارف ساحة السخانة بالقرب من مقر قيادة المعركة والنقطة الطبية التي تشرف عليها ياسمين، طلبت مؤازرة لإحدى النقاط المشرفة على ساحة السخانة فتوجه أبو ياسين إلى تلك النقطة مع مجموعة من الثوار لصد الهجوم فأصيب أبو ياسين بقذيفة دبابة كادت أن تودي بحياته، أصيب أبو ياسين الذي كان من المفروض أن يشرف على عملية الالتفاف الذاتية بسبب خبرته بمدينة دمشق وأزقتها الفرعية.

خاطر رجل من ثوار درعا يدعى أبو خالد الصياصنة بحياته لإسعاف أبو ياسين على طريق المتحلق الجنوبي وعلاجه من الإصابة الخطيرة التي نتجت عنها إشاعة استشهاده، اجتمعت قيادات المعركة في ظل التطورات التي حصلت ولم يكن الخيار أمامهم إلا الانسحاب من الحي والتجهيز لدخول معركة أخرى في أقرب وقت، أدى قرار الانسحاب إلى انهيار كبير في معنويات يزن الذي انعكس على تصرفاته وبدأ يخاطر بنفسه في كل حدب وصوب، بدأ حلم النصر يتشتت في ذهن يزن وحلم العودة إلى حياته الطبيعية بات بعيداً وحفلة الزفاف وياسمين ووالداه أدت هذه الحالة إلى انتكاسة كبيرة في قلب يزن وكان لابد له بالتشبث بالحلم إلى آخر لحظة في حياته، بدأ الجيش السوري محاولة السيطرة على مقر قيادة المعركة المحاذي لساحة السخانة ممأدى إلى إصابة مراد وهو يتحرك على دراجته النارية برصاصة قناص وهو يحاول قطع شارع من أحد الأزقة، أصبح الآن مراد طعماً لمن يريد إنقاذه في حيلة من أحد قناصة الأسد ليجذب الثوار لإنقاذ صديقهم ويصطادهم واحدا تلو الآخر، حاول يزن المضي رغم معرفته بالعواقب التي سوف تنتج عن هذه المحاولة ولكن الثوار لم يسمحو له بالتقدم فالقناص يتربص لحظة خروجه لإصطياده، كان مراد ينزف حياً وهو ملقى على الأرض ولا سبيل لإنقاذه إلا بالمخاطرة، تذكر يزن في تلك اللحظات كل لحظةٍ في حياته المشتركة مع مراد كانت تمر بمقابل عينيه مثل شريط مسجل خصوصاً لحظات اقتحام مراد لنقاطٍ خطيرة بغية إنقاذ مجموعة محاصرة من الثوار مماجعله يغافل أصدقائه وينطلق مسرعاً باتجاه مراد ويربط الحبل أسفل يدي رفيقه الثوري، أطلق القناص رصاصةً سلكت طريقها مارةً من قلبه ورصاصة أخرى اخترقت رأس مراد الذي بات مربوطاً بالحبل مماجعل سحبهم ممكناً.

رويت أرض دمشق من دماء شابان لم يتركا فرصة إلا واغتنماها لكي يراها تعيش الكرامة، لربما استشهد يزن ومراد لكي لا يعيشوا المستقبل فقد

يكون موتهما رحمة لهما مقابل الذي سوف يحدث في هذه البلاد من مآسي فعلماء المسلمين يقولون أن الله ينتقي شهداءه في المحن لحبه لهم فهل من الممكن أن يكون هذا الحب من أجل أن يقيهما شر العيش في دنيا لم تعد تعرف حقاً لإنسان أم أن الحياة لا تصلح للصادقين.

تجري ياسمين جولاتها بين الجرحى المستلقين في كل حدب وصوب على الأسرة والأرض من دون أن تستطيع من فعل شيء في هذه الحالة التي يعجز عنها أي فريق طبي مهما كانت خبرته فمنذ أيام كانت تقف مع يزن لتستقبل هؤلاء الشباب المتحمسين لتحرير دمشق يتوافدون والأمل يسكن عيونهم واليوم يتوافدون إلى النقطة الطبية إما شهداءً أو جرحى تغطي الدماء أجسادهم.

طلب عمَر من ياسمين أن ترافقه إلى الغرفة المجاورة لترى يزن مضرجاً بالدماء نائمٌ مبتسم لاحرارة في جسده البارد لن يعود الدفئ إلى معصميه لن يستطيع أن يضم يديها ويشعرها بالأمان بعد هذه اللحظة شاحبٌ لون بشرته وقد تحقق حلمه الأناني بأن يموت قبلها ويتركها مهشمة الفؤاد في هذه الزوبعة وحيدة لتواجه جثمانه بانقطاع خلايا عقلها عن التفكير وتصلب في عينيها المغرورقتان بالدموع التي غدت لاتعرف أي طريق تسلك هل تخرج وتسلك طريق وجنتي ياسمين أم تدخل لكي تبقى أسيرة داخل جرحها العميق، ضغطت ياسمين بيديها على يدي يزن علها تزرع فيهما شيئاًمن الدفئ فتعود الحياة إلى فؤاده المهشم وتضغط على خاتمه مقبلَةً إياه، لم تعد تستطيع الصمت ومشاهدة الشاب الذي تعشق جثةً هامدة، لاتستطيع التفكير وتشتد شرايين وجهها ذارفةً دموعها بصمت على شهقات الأنين جاذبة لون يزن الشاحب حتى يكون لونها منذ أول لحظة للفراق.

تقف والدة يزن ووالده يقرآن القرآن على جثمان ابنهما الذي لحق بشقيقه والدموع تخترق كل محاولة لإخمادها، ذهبت ياسمين من أجل وضع جثمان

يزن في منزله ريثما تصبح الأوضاع مناسبة لدفن جثمانه، أمضت ليلتها الأخيرة واقفة أمامه تتملقه بنظراتها ولكنه لايجيب لم تعد لغة العيون تنفع ولاحتى لغة الحب في زمن الحرب فلغة الموت فوق كل اللغات ولكن الأمر الوحيد الذي يذكرها بدفئ يديه هو الخاتم الموجود على الإصبع الذي لم تخلعه منذ أن وضعته أول مرة لقد لامست يداه هذا الخاتم الملتف على يديها الممتلئتان بدمائه لتمضي الليلة معانقةً الخاتم محاولة التماس الدفئ الذي كان يضخه يزن في فؤادها.

نقل جثمان يزن في الصباح التالي ليغدو ذكرى تحت التراب تاركاً هذه الأرض بمآسيها إلى عالم لااستطاعة لإنسان وصفه كاتباً في أزقة دمشق أسطورة شاب دفع كل مالديه صامتاً لايطلب مقابل ماقدم إلا أن يعيش وأبنائه في كرامة.

تلك الدموع دموع موت دمع كساني بالأنين
لولاك شوقي للحياة مبطن بغطاء زهد لايلين
ماعندي من مرٍ سيعود شهداً عند مولاي ومولى الياسمين
قولي لذي النجدين

قولي لذي النجدين أني عرينه وصلابة الأعراق نبع الوالدين

قولي لذي النجدين أني حسامه قولي له تلك الشهامة نفسُهُ

قولي لذي النجدين أني كلما أخفيت عنه عشقته

قولي لذي النجدين

الليلة الأولى من رمضان الثاني للثورة السورية

يمشي الثوار والعائلات في هذه الليلة المظلمة عابرين البوابة الجنوبية لحي الميدان ترسم الخيبة معالم وجوه الجميع تحمل كل مجموعة من الثوار جرحى المعركة سيراً على الأقدام فالخروج متاح فقط بهذه الطريقة، يقف حيدر على أحد الأبنية الشاهقة في الحي ليشاهد الثوار وهم يخرجون من الحي من دون أن تطلق عليهم رصاصة واحدة فالنظام السوري يريد إخماد هذه المعركة وانسحاب الثوار يعني خروجه من المأزق الذي وقع فيه، تمشي ياسمين التي لم تتحرك مقلتيها منذ لحظة رؤيتها ليزن منهكة وملابسها تحوي خليطاً من التراب والدماء برفقة الحاج أبو يزن وزوجته ليتضو ليلتهم في حي نهر السيدة عائشة الواقع جنوبي حي الميدان.

استقبلت عائلات الحي الثوار والعائلات كما استقبلت إحدى العائلات أم يزن وياسمين والحاج أبو يزن، طلبت الحاجة أم يزن من مالكة المنزل أن تعير ياسمين لباساً تستطيع التحرك به إلى منزلها في اليوم التالي، كانت ياسمين تنفذ طلبات الحاجة أم يزن بصمت مثل الآلة الميكانيكية تستحم وهي مخدرة المشاعر تذرف دموعها من المقلتين في كل لحظة تذكر يزن الذي أصبح في كل مكان في حلوياتها والتظاهرات وأحلامها يمشي على نسيم الهواء الذي تتنفسه والذي بات اليوم يخنقها مثل الأسماك التي تحاول التقاط أنفاسها خارج الماء.

عادت ياسمين إلى المنزل لتقابل الحاج أبو أحمد ووالدتها، لم يستطع الحاج أبو أحمد أن يوبخ ابنته على هذه المخاطرة فهو يعلم ماحل بها وبيزن احتض ابنته التي لم تستطع إلا أن تعاود البكاء شاهرةً غمازتيها على الوجنتين ولكن هذه المرة من حدة الألم الذي يسيطر عليها، دخلت ياسمين المنهكة لتخلد إلى النوم الذي لم تستطع ذوقه منذ أكثر من ثلاثة ايام.

أعلن النظام السوري استعادته السيطرة على حي الميدان وبدأ بنشره قواته داخل الحي الذي ضم معركة شكلت الأمل لكل إنسان حر بالخلاص، بدأ الجنود يقتحمون المنازل ويخلونها من أثاثها وإرسالها إلى سوق جديد قريب من كراج البولمان في الطرق الشمالي الغربي لمدينة دمشق يسمى بسوق السنة الذي تتجمع فيه جميع المسروقات التي تؤخذ من المناطق الثائرة في حال دخول جيش الأسد الابن عليها.

عاد أحد أهالي حي الميدان لمنزله لكي يتفحص أثاثه وهو في طريقه داخل سوق أبو حبل رأى الجنود منتشرةً على الطرقات وتجلس على أثاث المنازل، رأى بالقرب من منزله أحد الشاحنات الكبيرة تحمل أثاث منزله فقام بإيقاف سائق الشاحنة العسكرية وسأله (اديش بدك حقها) أجابه السائق (خمسين ألف) أعطاه المبلغ الذي طلبه وطلب منه إرجاع الأثاث من حيث أخذه وكان له ذلك من دون حياء أو خجل فالسارق يسرقه ولايحق له إلا أن يساومه على ثمن مسروقاته.

مضى أسبوعان على استشهاد يزن أمضت ياسمين وقتها متنقلة بين غرفتها وشرفة المنزل عند كل آذان من المسجد، كانت في تلك الآونة وكأنها مصابة بالتوحد عقلها يعيش في دوامة لاشيء فيها وتفكر بلاشيء ولكنها تواصل التفكير ومقلتاها مصلوبتان وكأنها مازات تعيش اللحظة الأولى التي رأت فيها يزن جثة هامدة إلى أن دخلت إليها والدة يزن، جلست والدة يزن مع والدتها التي أخبرتها عن الحال الذي وصلت إليه ياسمين منذ استشهاد

لمواجهة الواقع الذي لابد للإنسان أن يتكيف معه فمهما آلمنا القدر علينا أن نؤلمه بقوتنا ومواجهتنا له.

شاء القدء للنظام السوري أن يستعيد عافيته بعد المعركة التي قلبت له موازين القوى على الأرض فبعد المعركة الأولى في دمشق بدأ الثوار في حلب بالتقدم وثوار الغوطة بدؤوا معارك التحرير لكامل أراضي الغوطة الشرقية وتحرير الثكنات العسكرية في معظم أرجاء الريف الدمشقي.

يتابع حيدر الأشرطة المسجلة لخروج الثوار من حي الميدان محاولاً تتبع كل إنسان كان برفقة الثوار وبدأ يبحث في تقارير المخبرين عن أسماء وصور الثوار الذين استطاعو توثيق أسمائهم وكان يعمل بشكل مستمر لإلقاء القبض على كل إنسان عمل مع الثوار فالتمرد الذي حصل في دمشق بالنسبة للحكومة السورية أمر خطير كاد يودي بالنظام إلى الهاوية وتسبب بانهيار كبير في المؤسسة العسكرية والأمنية ولم يكن معظم الضباط يدركون كيف عادت الأمور ليد النظام السوري الذي بدأ الاستعانة بحلفائه لتعويض الثغرات الأمنية واستجلاب مقاتلين جهاديين أجانب من الشيعة اللبنانيين والعراقيين والإيرانيين بالاضافة إلى الخبراء الروس.

على الطريق السريع للمتحلق الجنوبي تجلس ياسمين بمحاذاة عمَر منطلقان باتجاه الغوطة، تمر فوق حي الميدان الذي استشهد فيه يزن لتعود إلى ذهنها ذكرى استشهاده، عندما يمر الإنسان من مكان فيه ذكرى أليمة يشعر بنغزات مثل الصعقات الكهربائية تضرب فؤاده ويبدأ الصراع المحتوم مع القدر فتكتفي ياسمين التي تسند رأسها على الكرسي وكأنها تحاول النوم بمحاولة إخفاء اللون الأحمر المرتسم في مقلتيها وإخفاء الشرايين التي تطفو على سطحهما وهي لاتتذكر أي شيء إلا لحظة الفراق التي تحاول أن تجعلها حبيسة في مخيلتها علها تكون الدافع الأكبر لها بالاستمرار في هذا الطريق الصعب طريق الثورة والحرب، لم تكن تدرك عندما كانت تشاهد

يزن وبدت كأنها تحت تأثير صدمة نفسية لم تستطع أن تستيقظ من وهلها، دخلت الحاجة أم يزن إلى ياسمين التي أجهشت بالبكاء فور رؤيتها لم تستطع الأم المكلومة إلا أن تشارك ياسمين دموعها ولم تستطع أن تقول لياسمين كلمةً واحدة واكتفت بتسليمها رسالة كتبها يزن كما كتب لوالديه قبل بداية المعركة استلمتها من صديقه.

(عزيزتي ياسمين إذا وصلت إليك هذه الرسالة فهذا يعني أن الله قد اختارني من الشهداء كنت آمل أن لاتستلمي مني رسالةً كهذه ولكني لم استطع إلا أن أبقي لك تذكاراً لست مضطرا به أن أخبرك به مدى الحب الذي زرعته في فؤادي، إذا استلمتي هذه الرسالة فهذا يعني بأنك منذ هذه اللحظة ستتابعين مشوارنا لاتخاطري بنفسك أرجوكي وإذا شعرتي بخطر يحوم بالقرب منك هاجري إلى مكان آخر سوف انتظر لقائك ورغم شوقي لك أتمنى أن يطول انتظاري لتعيشي حياتك التي كنت أتمنى أن أكون شريكاً فيها تابعي قوية عنيدة كما عهدتك أحبك جدا).

أمضت ياسمين يومها تعيد قرائة الرسالة مراراً وتكراراً وتحاول التقاط نسمة من يدي يزن فهذه آخر تذكاراته وبداية جديدة لياسمين، يجب عليها أن تتابع الطريق الذي كان من المفترض أن تتابعه بصحبته.

مرت أيام قليلة منذ استلامها الرسالة، بدأت تخرج من المنزل للقاء أصدقائها، اجتمعت برشا وعمَر وطلبوا منها أن تعود لمتابعة أعمالها الثورية، طلبت ياسمين من عمَر أن يمهلها بضعة أيام ووعدته بأن تعود أقوى مماكانت عليه قبل استشهاد يزن، بدأت رشا تمازح ياسمين (لكن لك عمي هلق بيكون قاعد مع الحواري ومكيف) ضحكت ياسمين رغم الحزن الذي لم يفارقها وأجابت (الحواري؟ بدي بلبصله عيونه إذا بيساويها على كلٍ رايحتله) مشت الصديقتان بعدد من احياء دمشق كبداية من ياسمين

صور الحرب على نشرات الأخبار حقيقة مايجري ولكنها اليوم باتت من أكثر الناس علماً بماتعنيه هذه الكلمة من ألم.

رحب الدكتور أحمد بياسمين وعزاها على استشهاد حبيبها وخطيبها يزن أخبرها أنه على ثقة بأنها سوف تعود أقوى من السابق لتتابع الرحلة الثورية وهي مدركة أكثر من قبل تكاليف هذه الرحلة، طلبت ياسمين من عمَر أن تزور (أم الثوار) الحاجة أم فهد وكان لها ماتشاء، انطلقت هذه المرة من الشوارع الرئيسية للغوطة من دون أي تواجد لقوات النظام فمعركة دمشق أتاحت للثوار فسحة كبيرة ودفعة معنوية كبيرة لتحرير أراضي الغوطة.

مرت على الحاجز الرئيسي لقوات النظام بالمقابل من ساحة كفر بطنا ورأت دبابة مدمرة وعلم الاستقلال المرفوع على البلدية شعرت حينها أن دماء يزن التي تساقطت في دمشق لم تضع سدى مواسيةً نفسها بالإنجاز والتحول النوعي للمواجهات في البلاد، وصلت ياسمين إلى الدار الذي تقيم فيه الحاجة أم فهد التي استقبلتها بالعناق الحار والقبلات التي تسكن وجنتيها المليئتان بالدموع (ياخالة حبيب سلم عليكي بعد استشهاد يزن وقللك اديش كان يحبك) أخبرت ياسمين الحاجة تلك الكلمات التي كانت تقولها والحرقة تسكن فؤادها ويبدو أنها من واجبها التعود على ذلك الألم لما تبقى لها من أيام في هذه الحياة، لايستطيع الإنسان أن يزيل ألم الفراق ولكن طبيعة الخلق تجعل الإنسان يتأقلم مع الواقع الذي فرض عليه تماماً مثل السم القاتل إذا تعاطاه الإنسان على فترات طويلة بجرعات تدريجية تتشكل في جسده مناعة تحميه مع مضي الأيام من الجرعات الكبيرة لاحظت الحاجة أم فهد الخاتم الذي مايزال موجوداً على أصابع ياسمين ونظرت إليها قائلة (الله يحميكي ياأمي من كل شر ديري بالك على حالك إذا مو كرمالي كرمال يزن يلي كان يخاف عليكي من النسمة) وبدأت الحاجة أم فهد تخبر ياسمين أخبار الإنتصارات والمعارك التي خاضها الثوار في

الغوطة خلال الفترة الماضية وتقص لها الطرائف والأعاجيب التي حصلت مع هؤلاء الشبان في معاركهم كما يحدثوها عنها في كل زيارة، جميلة هي أخبار النصر ترسم في القلوب المهشمة طريقاً تستطيع من خلاله إعادة تكوينٍ جديد لنظرتها في هذه الحياة.

بعد تحرير معظم الأراضي بالغوطة ومعظم القرى في الأراضي السورية بدأ خطاب جديد يدخل على الساحة العسكرية، فقد بدأت بعض التيارات تحاول فرض وجهة نظرها السياسية لمستقبل البلاد على مستوى قوتها العسكرية التي تتقلص وتتمدد وفقاً لحجم الدعم المادي الذي يتم توريده لها من الداعمين فتصبح الكلمة الرئيسية للداعم الذي يعز مجموعة عسكرية ويذل أخرى بأمواله بمجرد انقطاع مصالحه معها، أدت هذه الحالة إلى وضع القضية السورية على طبق من ذهب بأيدي الدول الكبرى لتدعم بعض الدول المعادية للثورة بشكل خفي بعض التيارات حتى من دون علم أربابها من أجل كسب سياسي لتغيير معالم الثورة السورية فتارة يتم إرسال الدعم لتيارات يسارية وتارة يتم رسال الدعم لتيارات يمينية وفقاً لمصالح كل دولة وأحياناً يرسل الدعم من دولة معادية لتيار معين الذي يعتبر معادياً لها للاستفادة من طريقة تفكيره التي لاتعرف قراءة الواقع وتكسب هذه الدولة ماتريد من دون الحاجة إلى توجيهها له مستغلة فهم هذه الفئات الضيق لهذه الحياة حتى تستطيع الحفاظ على استمرار الصراع والحفاظ على الحجة لقطع الدعم وقبول المجازر التي ترتكب على يد قوات الأسد.

يوجد فرق كبير بين من يقاتل ليحميك ومن يقاتل ليحكمك ولا يوجد قانون أخلاقي أو إنساني أو ديني يعطي أي فئة الحق لفرض أفكارها بسبب وقوفها في جانب الخير في إحدى الأوقات وتنظيم العلاقة بين السلطة العسكرية والسلطة المدنية حاجة ماسة في هذا العصر فالحاكم الذي يملك السلطة العسكرية من واجبه الانصياع لأوامر السلطة المدنية ضمن ميثاق يحاول

ضمان من أن لا يعيد التاريخ نفسه كما حدث مع سلطة الأسد الأب، في العصر الحديث تنوعت أشكال الديكتاتوريات لذلك لايستطيع إنسان منصف أن يجد مشكلة في منهج معين ليلقي اللوم عليه فالأنظمة الاستبدادية تأخذ من المناهج ستاراً لأعمالها والواقع اليوم يعيد إلى أذهاننا حكومات أخذت من العلمانية ستاراً لاستبدادها تحت اسم مكافحة الإرهاب وأخرى أخذت من الدين ستاراً تحت اسم حماية الشريعة وكما الحالة السورية لم يترك النظام السوري أي ستار إلا واختبأ تحته مبتدئاً بالمقاومة ماراً بحماية الأقليات منتهياً بمحاربة الإرهاب، تكمن المشكلة الأكبر في الإنسان البسيط الذي لاتهمه التفاصيل ويصدق كل مايسمع من إنسان يحاول فرض أفكاره على المجتمع معطياً إياه أمثلة تعزز قضيته ويخفي عنه الأمثلة التي تناقض أفكاره تماماً كما يجري في الأروقة الدولية يستغل كل سياسي الأحداث المتناقضة الواقعة حقيقةً وفقاً لمصلحته لتبرير جريمة سوف يرتكبها على الأرض ومن هنا تكمن الأهمية من أجل حماية النظام الديمقراطي وتحديد العلاقة بين السلطة والمجتمع فالديمقراطية ليست دين كما يحاول بعض التيارات تسويقها وماهي إلا علاقة تنظيمية لفئات المجتمع للوصول إلى صيغة تحترم عقيدة كل طرف من دون الإساءة للأطراف الأخرى وهي تجربة عملية تتحمل النجاح أو الفشل وفقاً لموقع تطبيقها وتتعرض لمحاولة المكر والخديعة من قبل الكثيرين من أجل تحويلها من ميثاق مجتمعي لمصالح فئة دون أخرى.

لم تكن ياسمين ترغب في إلقاء محاضرة كهذه في هذه الفترة من الثورة ولكنها كانت تجد بأن أخطر أمر يتم الحديث عنه في هذه المرحلة هو شكل الحكم في سوريا من قبل العسكر فلهذا أثر كبير على التطورات على الأرض وتشتيت كبير لذهن الثائر الذي يقف على الصفوف الأولى للقتال حتى أن كلاماً كهذا قد يمحو من ذاكرة الثائر الذي يدفع دمائه جراح ذويه التي تتراكم في كل يوم أكثر من قبل ممايؤدي إلى حالة خمول في عزيمته

وكان عليها أن تواجه هذا الأمر ولو ببضعة سطور رغم معرفتها بأن ماتقوله يضيع سدى مع وقع الرصاص الذي يتناثر على الساحة وهذه الشابة اليافعة لاتملك سلطة او قوة تستطيع من خلالها اتخاذ قرار يسير في هذه البلاد إلى بر الأمان ولكن الثورة السورية خرجت لتصبح قادرة على التعبير عن مايدور بداخلها من دول اي قيد مادامت لاتعتدي على مقدسات الآخرين.

في إحدى مقاهي دمشق التقت ياسمين برشا لإمضاء بعض الوقت الذي بات طويلاً بالنسبة لياسمين تغيرت طبيعة ياسمين بالنسبة لرشا فهذه الفتاة التي كانت لاتعرف كيفية التوقف عن الكلام باتت كآلة الكمان من دون عصاة تجيب إجابات مقتضبة كثيرة الشرود في عوالم أخرى، لم تكن تدري رشا في أي كوكب ترسو أفكار ياسمين، التقت رشا بخالتها ودعتها للمشاركة في فنجان قهوة والتي أعجبت بدورها بجمال ياسمين ورقتها، سألت خالة رشا ياسمين (حبيبتي أمك بتستقبل ضيوف ولا حابة تكملي دراستك) أبرزت ياسمين خاتم خطوبتها بطريقة غير مباشرة وأجابت خالة رشا (والله مخطوبة ياخالة وعرسي قرب) تمنت خالة رشا التي أيقظت آلام التي تقبع في فؤاد ياسمين عن غير قصد لياسمين التوفيق والسعادة لها ولخطيبها المحظوظ بها.

زارت الحاجة أم يزن ياسمين في المنزل برفقة والده من أجل وداع فتاة ابنهما فالحاج قرر السفر خارج البلاد بعد وفاة يزن من أجل أن يساعد الحاجة أم يزن على الابتعاد عن الحزن الذي تكرر بعد مرور اثنان وعشرين عام على وفاة ابنها يزن البكر لتفجع بالشاب الذي سمته على اسم ابنها البكر يزن، أصر الحاج أبو يزن على أن تأخذ ياسمين مفتاح المنزل وطلب منها أن تثابر زيارته وأن تستخدمه إذا اضطرت على ذلك فهما مهاجران للابتعاد عن الآلام التي عاشاها في هذه البلاد ولاتعرف ياسمين إن كان الحاج أبو يزن وزوجته سوف يعودان في يوم ما ففي كل ركن من أركان

حياتهما يوجد ذكرى من أبنائهم وقاتلهما جالسٌ على عرشه يتغطرس من دون أي رادع له.

بدأ الكثير من النشطاء يسافرون منهم من انتصر عليهم اليأس وآخرون يجدون ملاذاً آمنا من ملاحقة الأجهزة الامنية لهم وآخرون اختارو مساعدة السوريين اللاجئين في البلدان المحاذية لسوريا كما حصل مع لويز التي قررت أن تعمل في مساعدة اللاجئين السويين داخل لبنان الذي تتحكم بسياسته قيادة حزب الله مانعةً كرامة العيش للكثير من اللاجئين متبعةً سياسة حليفها الأسد في زيادة معاناة من لايجد طريقاً في هذه الحياة يسلكه للعيش بأمان.

تقف ياسمين في الفسحة داخل المنزل الذي قضت آخر ليلة لها في معركة الميدان داخله مشاهدةً الشاب الذي تحب لاحياة تحرك جسده، من الصعب على الإنسان زيارة الأماكن التي خسر فيها إنسان عزيز على قلبه فمهما تأقلم فؤاده مع الجرح تبقى اللدعة التي تدق قلبه كأنها لدعة تيار كهربائي تلامس قلبه مهما طالت المدة لحدوث الكارثة التي عانى منها، تجلس ضاحكة باكية تشتد شرايين وجهها وتتطابق أسنانها على بعضها بشدة فلم يمضي وقت طويل على هذا الفراق كأنه حدث البارحة لتصبح زياراتها إلى هذا المنزل الذي كان من المفروض أن تزوره بصحبة يزن مرة واحدة في كل أسبوع لتأكل من طهي والدة يزن وهي تجلس وتسمع من الحاج أبو يزن نصاحئه وخبرته في الحياة وتصرفات يزن الطفولية عندما كان صغيراً أليمةً بسبب الحال الذي وصل إليه فهو خالٍ من أهله مودعاً الشاب الذي ترعرع فيه والبحيرة التي في أرض الديار لاتنبع بالمياه وكأن الحياة توقفت عنها بعد استشهاد يزن، أحكام القدر قد تكون قاسية في الكثير من الأحيان،قضت ياسمين بضع ساعات نائمة في غرفة يزن لتستيقظ متابعةً تحديها للقدر وتمسح الدموع التي باتت باردة عن مقلتيها وكأنها في أول

الطريق الذي تستطيع به التعايش مع هذا الجرح المزمن وإيجاد الطرق لكي تنتصر عليه فيصبح هذا السم الذي تعود جسدها على استقباله جزءاً من حياتها ولكن الفرق الصغير أن الأمل الجديد هو لقاء يزن والذي جعل هذه الفتاة تنحني للقدر آملة بأن يكون لقائها بهذا الرجل الذي تحب قريباً.

بات التظاهر في دمشق أمر صعب جداً فقد ازدادت الحواجز الأمنية وأعطيت الصلاحية المطلقة للعناصر من أجل إبقاء السيطرة الأمنية على دمشق فأصبح لدى أي عنصر الصلاحية الكاملة لطريقة تعامله مع أي مواطن من دون أي قيود فتاة كان أم شاب فقد وصل نظام الأسد إلى قناعة بأن يظهر وجهه الشيطاني لأهالي المدينة الذي تبين معه أن شعرة معاوية لاتنفع في التعامل معهم فهذه المدينة تعمل بصمت لتفاجئك بإعصارها الضاري، أدت هذه الحالة إلى تكثيف حملات الاعتقال أكثر من أي فترة لاحقة واعتقال الكثير من الناشطين والناشطات مماجعل الكثير منهم أمام خيارين إما أن يختاروا طريقاً بالانتقال للمناطق المحررة أو السفر خارج البلاد، تكلم الكثير من أصدقاء عَمر وياسمين من الغوطة طالبين منهم الخروج من المدينة للعمل في المناطق المحررة ولكن أعمال عَمر وياسمين مع الدكتور أحمد كانت تحتاج وجودهم داخل دمشق من أجل تأمين النواقص الطبية وإرسالها إلى الريف الدمشقي.

٢٠١٢-١١-١٥

تقف ياسمين منتظرةً مرور سيارة الأجرة على الطريق المحاذي لجسر الرئيس فجأة توقفت سيارة أمنية بمحاذاتها ونزل منها ثلاثة عناصر وقاموا بتقييدها وإجبارها على الصعود إلى السيارة وضربها بالعصي على رأسها لتصبح في حالة قريبة من فقدان الوعي، وضعت ياسمين في الكرسي الخلفي

في المنتصف ووضع أحد العناصر وشاحاً على رأسها ضاغطاً إياه إلى الأسفل سألت ياسمين وهي تبكي (شو بدكم مني) أجابها العنصر طالباً منها أن تصمت واصفاً إياها بالعاهرة لم تستطع ياسمين أن تحرك وجهها يميناً أو شمالاً فالآن يجب عليها أن تبقي رأسها منخفضاً وتطيع الأوامر التي تعطى لها ولاتستطيع أن تضع يديها الموثقتان على رأسها لترى إذا ماكانت الدماء تغطي حجابها الأبيض، عقلها مجمد والخوف يقطع أوصالها وعنصر الأمن يشتمها بالكلام الدنيء ويتوعدها بمستقبل لن ترى النور فيه، سائق السيارة الأمنية قال لها (بدك تسقطي الأسد؟ والله لنسقط منك حليب أمك اللي رضعتيه) ولاتمر دقيقة إلا ويضرب ياسمين إما بالعصي أو بيديه وقد قام أحد العناصر بخلع حذائه وضربها به وهي تطلب منهم الرحمة لتقابل بالشتائم وتؤمر بالصمت (هلئ كلكن هيك بتصيرو لما بتوقعو) تلك كانت كلمات السائق الذي يتحرك من شارع لآخر ينظر على المارة ويتحزر مع صديقه أن المار شامي معارض لنظام المعلم على حد وصفه، قال العنصر لياسمين (ولك مجانين أنتو مابتعرفو أنو إذا بينزل الله مابيسقط نظام بشار) وبدأ يستهزئ عليها وعلى كل إنسان فكر بالخروج ضد النظام الباقي على حد وصفه، أحيانا يكون هؤلاء العناصر من المصابين بعقد النقص ولديهم حقد على المجتمع ويرون في سيرورة نفسهم أنهم أقل مستوى من أبناء هذا المجتمع مايدفعهم إلى الجبروت والتكبر والتعالي على أبنائه ومحاولة إذلالهم لكي يشبع غرائزه ورغم كل شي تبقى هذه العقدة مسيطرة على تصرفاته وفي بعض الاحيان تكون لعبة سادية مباحة له من القادة مثل كلب قطعت له ذنبه وأطعمته إياه ومن ثم تركته في غرفة مظلمة لفترة طويلة وعندما يخرج يهاجم جميع الناس إلا مربيه، هكذا تربى الحيوانات على الاستشراس، تقرأ ياسمين بالخفاء آيات قرآنية وتطلب من الله الصبر والفرج، بعد مضي حوالي الثلاثين دقيقة من العذاب داخل السيارة وصلت ياسمين إلى مطار المزة العسكري حيث يوجد فرع المخابرات الجوية، طلب

أحد العناصر من الحرس أن يستلم ياسمين (استلمولي هالكلبة ياحبيب وخدوها على غرفة المعلم) بدأ أحد العناصر بسحب ياسمين، استلم العنصر وأصدقائه الثلاثة ياسمين وهي مثوقة لاتعرف من أي مكان تستقبل الضربات بسبب الوشاح الذي يحجب لها عيناها وياسمين تضرب بالخراطيم السميكة والعصي وهي تصرخ تطلب الرحمة (نشان الله بس) ليجيبها أحد العناصر (اذكري كل شي إلا الله) وتضرب تارة وهي ملقاة على الأرض ليعود أحدهم ويوقفها وتضرب وهي واقفة على أسفل وركها وعلى ظهرها ووجهها لتملأ العلامات جميع أركان جسدها الرقيق مستقبلة الصفعات على وجهها الذي لم يستقبل في حياته ألماً كهذا الألم لاتستطيع الآن ياسمين أن تشعر بشيء إلا الألم، بعد أن انتهى العناصر بالاحتفال بياسمين وضع أحد العناصر يده على رأسها وضغط عليه لينحني وبدأ يجرها في طريقه إلى مكتب الضابط، طلب الضابط من العنصر أن يترك ياسمين جاسية أمام باب مكتبه ووجهها ملاصقاً للحائط وأمره بأن يتأكد من عدم انحنائها والمحافظة على حالة الجسيان وعقابها في حال أصدرت أي تحرك، عندما يُضرب الجسد يصاب بحالة من التخدر وبعض مرور القليل من الوقت ينتشر الألم في جميع أنحاء الجسد، تجلس ياسمين بوضعية صعبة المتابعة لأكثر من ثلاثة دقائق في الحال الطبيعي ولكن من الأصعب محاولة تعديل الحالة فبمجرد أي حركة تنهال عليها لعصي لتلدع جسدها بقسوى ولتلدع رأسها وحتى أنها خلال ثلاث ساعات لم تكن تمر وهلات قصيرة من الزمن حتى تستقبل مجموعة من الضربات من العناصر المارة ليجدو تسليتهم بضرب الفتاة التي بين أيديهم ومن ثم تأخذ الأمر للعودة إلى حالة الجسيان، يمر الوقت وياسمين تنتظر مصيرها المجهول في غرفة التحقيق كانت ياسمين قبل دخول هذا المكان عجولةً جداً لاتحب الانتظار حتى أنها كانت تترك صديقتها رشا عندما تتأخر عليها وهي منتظرةً إياها على بوابة البناء الذي تقطن فيه، ولكن في هذا المكان لامجال لقلة الصبر فالأمر ليس اختيارياً وأي كلمةٍ أو

حركة يليها ضرب مبرح لايترك بجسدها الأنثوي فسحة إلا ويطالها حتى دخول الحمام جريمة لاتستطيع طلبها والخيار الوحيد المتاح امامها هو تجهيز جسدها لاستقبال ضربة لاتعرف بأي مكان تقع في كل حين وإن أي لحظة قد لاتكون جاهزة فيها لاستقبال ضربة بخرطوم أو عصا يعني شعور مضاعف بالألم، كانت تفكر ياسمين في الوقت وهي جاثية على ركبتيها بوالديها وبالجامعة التي قد لاتدوسها بعد اليوم وعندما انقطعت جميع الأفكار المترافقة مع ضربات قلبها المتسارعة من الخوف استطاعت أن تجد تسلية جديدة وهي بعوضة تمشي على الوشاح الملفوف حول عينيها لتراقب تحركاتها وتتبعها يميناً وشمالاً تمضي وقتها وهي تحرك مقلتيها محاولة اكتشاف الموقع الذي باتت فيه البعوضة كانت تفكر في نفسها أن هذا الوشاح قد يكون وضع على الكثير من النشطاء والناشطات وقد تكون هذه البعوضة آنستهم كما تؤنسها الآن في هذا الموقف الصعـب أصبحت اليوم صديقة ياسمين المسالمة الجديدة هذا البعوضة التي كانت تشعر بالقشعريرة لمجرد اقترابها منها أصبحت اليوم الرفيق الوحيد المسالم في هذا المكان المليء بالوحوش الضارية، طلب الضابط من العنصر أن يدخل له تلك الفتاة العاهرة على حد وصفه، دخلت ياسمين ودقات قلبها تتسارع فالوقت قد آن لبداية المصير المجهول الذي ينتظرها، رفع الوشاح عن عيني ياسمين لتستقبل الصفعات المتتالية من حيدر الذي شكل لها صدمةً كبيرة زادتها تشاؤماً بسبب هذا الرجل الذي كان يزن يحاول إبعادها عن عينيه أيام المظاهرات، يضرب حيدر ياسمين مثل ثور هائج وجد فريسته وشعر صدره الكثيف والانتفاخ في بطنه يزيدان من ياسمين رعباً وهي تحاول أن تقول له أن لاعلاقة لها بأي شيء ولاتعرف سبب وجودها هنا ودموعها لاتترك مكانا من وجهها المتورم إلا وسقته (والله لخلي عضامك مكاحل يابنت الكلب) تلك كانت كلمات حيدر الذي يبدو لأنه قد عانى كثيراً حتى وصل

إلى فريسته ليقتص منها التعب الذي عاناه حتى استطاع الانقضاض عليها وهو يضربها بقوة كما يضرب الملاكم حقيبة التدريب بلارحمة.

لايطلب حيدر من ياسمين شيئاً والعقوبة التي تنالها ماهي إلا جلسة استقبال تعرفَ ياسمين عن طبيعة حقوقها في هذا المكان الذي كتب لها أن تدوسه طلب حيدر من العناصر الذين يشفون غليلهم من المعتقلة الجديدة أن يذيقو ياسمين طعم الحرية الذي تبحث عنه (بدي تفرجوها كلمة حريي على أصولها) رميت ياسمين أرضاً في المكتب الرمادي والأسود ورُفعت قدميها على حزام موثق بعصاة واستلم كل عنصر موقعه على يمين العصاة وشمالها منتظرين أمر بداية الضرب على قدميها بسوط مطاطي سميك وقاس مثل عصاة حديدية (بدي صوتها يوصل على قبر يزن بالميدان وعلى بيت بيها وأمها يلي ماعرفو يضبوها) هذه كانت آخر كلمات حيدر التي كانت تعني بداية رحلة العذاب، بدأ العنصر بضرب ياسمين وانهالت أول ضربة على قدميها مثل حد السيف لم تستطع إلا أن تصرخ بأعلى صوت لديها وتتالت الضربات حتى باتت ياسمين غير قادرة على التوسل ولم تعد تستطيع إلا على الأنين واحتباس أنفاسها عندما يشق السوط باتجاه قدميها فاتحاً جداراً صوتياً في الهواء يزيد من حدة خوفها، مرت خمس دقائق حتى بدل العناصر أدوارهم من أجل أن يرتاح الجلاد الأول الذي تعب من جلد ياسمين وبدأ العناصر بالتناوب على ياسمين، يجلس حيدر على كرسي مكتبه رافعاً قدميه وهو يأمر عناصره برفع وتيرة الضرب فصوت ياسمين كان أقل مما كان يتوقع (هلق هيك كنتي تجعري بالمظاهرات يابنت الكلب سمعيني جعيرك هلق) أخذ السوط من يدي الجلاد وبدأ بضربها وشتمها مراراً وتكراراً واصفاً ياسمين بالعاهرة مغيراً طريق سوطه في بعض الأحيان ليسلك طريق قدمها وبطنها ونهديها مشبعاً غرائزه وغرائز عناصره على تمايلات جسدها الذي يحاول أن يطير عن الأرض من شدة الألم، توقفت ضربات السوط بعد ساعة متواصلة زرعت بياسمين أملاً أن تكون نهاية العقاب، أتى العنصر بعبوات

من الماء مثلجة وأخرى باردة جداً ووضع العبوات المثلجة على أسفل قدميها وهي تشعر بغليانهما لمدة تزيد عن دقيقة ومن ثم بدأ بسكب الماء على نفس المكان إلى أن أدركت ياسمين أنها سوف تعامل بأسلوب مماثل لأسلوب أستاذ المدرسة الابتدائية عندما كان المدرس البعثي يأمر الطالب أن يبل يداه بالماء البارد من أجل أن يكون الألم مضاعفاً، لم تكن ياسمين تجرؤ على التوسل فهذا يعني عقاب أشد، بدأت تشعر ياسمين كأنها حافية القدمين واقفة على أرض مثلجة إلى أن أمر حيدر العناصر بالمتابعة بعد أن قال لها (ولو هي ريحناكي قولي سيادة الرئيس مافي بقلبه رحمة) وبدأت أول ضربة بالسوط لتقطع حبال ياسمين الصوتية لم تستطع أن تخفي صوتها مماجعل في هذه الضربة وقع إيجابي على حيدر الذي قال لها سعيداً منها على هذا الإنجاز (خلص وصل صوتك لعند يزن وأمك هلئ بدي صوت يوصل لعند الله وخليه يجي يجرب يفلتك اذا بيحسن يفلتك) انهارت الدموع من ياسمين وبدأت تئن في وجه القدر حتى بدأت حنجرتها تتبلبل من البكاء لتصدر أصواتاً مثل طفل صغير بعد بكاء طويل، الآن أدركت ياسمين لماذا يكبي الطفل بكاءً شديداً عند خروجه للحياة كأنه يطلب من والدته أن تعيده إلى كبدها كي لا يعيش في هذا العالم المظلم، مضت الساعة الثانية وعادت استراحة ثانية ولكن ياسمين لم تكن سعيدة بها هذه المرة لأنها تعلم بأنها سوف تعيد الألم الذي عانته بالساعة الماضية إلى أن مرت الساعة الثالثة حتى باتت ياسمين لاتعرف إذا ماكان جسدها قد تخدر أم أنها شكلت صداقة مع الألم الملتصق بكافة أنحاء جسدها وقدميها ووجهها الذي بات يبدو عليه معالم اللون الأزرق ليمثل حياة ياسمين الجديدة التي لا يحق لها إلا أن تتفوه بكلمة واحدة وهي الدعاء بحفظ الأسد الابن.

تغيرت معالم وجه حيدر ليصبح لطيفاً ومرحباً بياسمين، أمر عناصره برفع ياسمين المهذبة التي تطيع الاوامر على حد وصفه ومساعدتها على الجلوس على الكرسي، وقفت ياسمين على رؤوس أصابعها منهكة ومتكئة على

جلادها محاولة تفادي ألم ملامسة قدماها للأرض شعرت كأنها تدعس على حقل شائك في طريقها الذي بات طويلاً إلى الكرسي المحاذي لمكتبه ثم جلست ياسمين محاولة ضمان عدم لمس قدميها الأرض (اتصلي بالسيد عمَر أبو يحيى على خطك التاني وطلبي أنك تشوفيه نشان الشغل) كانت ياسمين تأخذ أنفاسها ولا سبيل لها من الهروب فهاتفها الذي بيد حيدر يحوي أرقام الكثير من النشطاء ويبدو أن حيدر يعرف تفاصيلاً كثيرةً عنها فقد ذكر لها اسم يزن أثناء العقاب، طلبت رقم عمَر وبدأت بكلمة (كيفك) أجابها عمَر الحمدلله طلبت منه أن تلتقي معه فأجابها بأنه في مكان بعيد خارج دمشق ولن يعود، لم يكن عمَر يتهرب من ياسمين ولكن الاتفاق بين هذا الفريق هو أن تبدأ المكالمة بكلمة (السلام عليكم شو الترتيب) أما إذا كانت العبارة مختلفة يدرك الطرف الآخر أن المتكلم معتقل وأن المكالمة هي عبارة عن كمين لإلقاء القبض عليه، جن جنون حيدر الذي بدأ بضرب ياسمين ورميها على الأرض لم يكن يدري كيف علم عمَر باعتقال ياسمين فقد اختار وقتاً كانت ياسمين فيه وحيدة عندما تم إلقاء القبض عليها بغية الوصول إلى باقي الفريق، أمر حيدر رجاله بنقل ياسمين إلى زنزانتها الإنفرادية وقال لها قبل ذهابها (حتقتضي عنا زيارة كيسة كتير ماحتشوفي متلا بحياتك ولح علمك فيها الحرية عأصولا) اتكأت ياسمين مجدداً على جلادها وبدأت تتحرك على رؤوس أصابعها متقية آلام أسفل قدميها التي تنزف دماء الإنسانية على الأرض في هذا الوكر الذي كتب لها أن تكون فيه حالها كحال الكثير من اصدقائها وصديقاتها، كانت بالسابق تدعو لأصدقائها بالخروج سالمين من المعتقل والآن أصبحت واحدة منهم تنتظر دعوات الآخرين وأفعالهم، ينظر حيدر على فريسته نظرات الانتصارفاليوم لديه مكافئة من رئيس الفرع الذي يعمل لصالحه، دخل حيدر إلى مكتب جميل حسن ليبشره بأنه أكرم ضيفته الجديدة بعقاب لن تنساه ماحيت ممادفع جميل للإثناء على تفاني حيدر ومؤكداً له أنه يستطيع متابعة عمله من دون

أية قيود، خرج حيدر من غرفة رئيس الفرع مفتخراً أمام زملائه بالإنجاز الذي حققه بطريقة غير مباشرة وكان يقول لهم (صحي تعذبت شوي لحتى وصلتلها بس بدي نسيها حليب أمها اللي رضعته)

نشر عمَر خبر اعتقال ياسمين على المجموعة السرية وانطلق إلى منزل رشا وأعطاها مهلة ساعتين من أجل توضيب حقيبتها إما للسفر أو الانطلاق معه إلى الغوطة خوفاً من عدم قدرة الفتاة الرقيقة على الصمود في وجه أساليب رجال النظام الوحشية في التعذيب، طلبت رشا من والديها الإنتقال إلى منزل شقيقتها في بيروت وأصرت على مرافقة عمَر إلى الغوطة لتقطن في منزل خالتها حيث تستطيع المساعدة قدر الإمكان واستطاعت هذه الفتاة التي اعتقلت صديقتها بعد أن رسمت لها طريق النضال ضد الظلم وأدخلت في حياتها معنى الحياة وهدفاً تعيش من أجله.

انطلقت مجدداً على طريق المتحلق الجنوبي تماماً كما كانت تفعل ياسمين والدموع تسقي وجهها البريء على ماحل بصديقتها المقربة والتي اختلطت بيديهما دماء الجرحى الذين كانو يعملون على مداواتهم في كل مكان تنزف فيه دماء نقية لاذنب لها إلا أنها اختارت أن تستعيد كرامتها من يد جلاد البلاد واستقرت داخل أراضي الغوطة المحررة بالكامل لتنضم إلى الفريق الطبي في بلدة زملكا بريف دمشق كما انضم عمَر إلى فريق إعلامي وإغاثي وبدأ بتغطية المعاناة التي تفرض على السوريين في ظل نظام الأسد وبدأ رحلته في تغطية المعارك في كل مكان تبدأ المواجهات فيه ضد الأسد وملاحقة الرصاص المنهمر في سبيل تحرير سوريا.

انهارت أعصاب والدي ياسمين عندما علما باعتقال ابنتهما وبدأ الحاج أبو أحمد يجول الشوارع بحثاً عن أحد يستطيع أن يعلمه إلى أي فرع اقتيدت ابنته، تدخل الحاجة أم أحمد غرفة ياسمين علها تجدها مستلقية على سريرها والدمعة تقتل فؤادها من الإحباط ليزيد ذلك عليها لوم الحاج أبو

أحمد لها على عدم قدرتها عن إيقاف ابنتها وإقناعها بالسفر ولومه لنفسه الذي لم يستطيع إجبار ابنته المدللة على الخروج خارج البلاد، لم يستطع ذلك الأب المكلوم إلا أن يتوسل إلى كل إنسان يعرفه له علاقات في الدولة على البحث عن مكان تواجد ياسمين فياسمين كانت ترسم في البيت الضحكات على وجه والديها، تمر ذكريات طفولتها على ناظريه وأول نداء بكلمة بابا مروراً بخطواتها الأولى إلى أن افرحت قلبه بشهادتها الثانوية لتدخل كلية العمارة ومر على ذهنه حال ياسمين في الأيام التي تلت استشهاد يزن، كانت الدموع أكبر من جلد الحاج أبو أجمد فالطفلة التي لم تكبر كفاية لتواجه مآسي الحياة تدفع ثمن سكوت الجيل الذي ينتمي إليه ياسمين اليوم تدفع ثمن أخطائه وكان يفكر باستمرار أنه من المفروض أن يكون بالمكان الذي تتواجد فيه ابنته ويفكر باحثاً في أي مكان ممكن أن تكون وبدأ يتذكر الكلمات التي قالتها له بعد أول تظاهرة لها (والله مابخلي ولادي يقولو ليش ماطلعتو ضد هالكلاب ولو بدي موت ألف موتة وانسجن ألف مرة) لأول مرة يدرك الحاج أبو أحمد أن ابنته كانت تلومه وتلوم جيله على إيصالهم إلى هذه الحال رغم أن ياسمين تعلم هول ماحدث في الثمانينات لكنها كانت مصرة على هذا الطريق مهما كلفها من ثمن.

متكئة على العنصر الذي يتأفأف من ضعفها بعد كل ماعانته من تعذيب على يديه ليدخل بها إلى غرفة التفتيش استلمت أحد الضباط الإناث ياسمين وأغلقت الباب، خلعت لها لباسها وأمرتها بالتعري مما أدى إلى حالة فزع كبير لدى ياسمين ولكن الضابط أخبرتها من أن هذا إجراء روتيني من أجل أمن الفرع، تخلع ملابسها وهي تحس بذل لم تكن تحسه وهي تضرب في غرفة حيدر شعرت بأنها تقتل بكرامتها وتسأل نفسها أي كرامة يملكها الإنسان في هذا المكان، أمرت الضابط ياسمين بأن تقوم بحركتي قرفصاء ويداها مرفوعتان خلف رأسها مبعدةً ساقيها عن بعضهما كانت تنفذ الأوامر وآلام ساقيها التي تدعس عليهما ينغز جسدها الرقيق، أخذت الضابط من

ياسمين ماتحمل من حاجيات وبدأت ياسمين تخلع القلادة المكتوب عليها بحمى الرحمن التي وضعها على عنقها يزن كهدية من الحاجة أم فهد، وهي تخلع القلادة عن عنقها تذكرت لحظة وضع يزن القلادة عليه والفرحة التي كانت ترسم ملامح وجهها في تلك اللحظة وازداد إدراكها بأنها اليوم في مكان جديد تتحكم فيه وحوش ضارية تحكم على كل سجين أن ينصاع لغرائز كل ضابط والضابط الوحيد الذي سوف يحدد ماسوف تتعرض له هو اختلاف حجم الحقد بي الضباط وحيدر هو الضابط الذي كان الشيء الأكثر الذي يخيفها في هذا المكان، يتميز فرع المخابرات الجوية بانتقاء عناصره وضباطه على أساس طائفي وينتقى معظم عناصره من مناطق منعزلة عن المجتمع السوري ليمثل آفة الرعب لدى الكثير من المعتقلين، أدركت ياسمين الآن أن الدولة السورية ليست دولة مركزية وماهي إلا قطاعات أمنية يتقاسمها كل فرع أمني ليفرض سلطته وسيطرته على الأرض مما يشكل للأسد الابن حكماً من الصعب أن ينقلب عليه أفراد سلطته، للضابط في الأمن السوري سلطة كبيرة تفوق سلطة الضابط في الجيش ومن المميزات التي يحصل عليها من أجل أن يطلق عنانه من دون الخوف من أي حساب هو ضمان دستوري بعدم محاكمته مهما فعل من جرائم في سبيل حماية الوطن كما تزعم السلطة الحاكمة وحيدر الذي كانت تتحاشاه ياسمين دوماً معروف بإجرامه الكبير وحقده الطائفي وخصوصاً حقده تجاه أهالي دمشق نتيجة الفرق الطبقي بين مجتمعه وهذا المجتمع حصراً، كانت ياسمين الآن تفكر بالإضافة إلى جسدها الذي رأته لايوجد فيه فسحة إلا وحبيسة للدماء مالذي سوف يجري لها في الأيام القادمة، عاد العنصر وأخذ ياسمين بعد أن ارتدت لباسها وحجابها الذي أصرت على إبقائه لتمشي مجدداً وتتكئ عليه وهي على رؤوس أصابعها في طريقها إلى الزنزانة.

على الدرجات الأولى إلى الطابق السفلي تودع ياسمين نور السماء لتنزل وهي حافية القدمين تحاول كتم ألمها في كل خطوة، فتح العنصر الباب

المؤدي إلى الرواق السفلي ليخرج أحد العناصر ويقول (اجتنا تسلاية ياشباب) وضع أحد عناصر الحرس سيجارته على يمين شفتيه وحمل العصا ليستلم ياسمين من يد جلادها السابق ويبدأ حملة الترحيب بها مع زملائه وضربها بالسوط وهي تتمايل يميناً وشمالاً هاربة من وقع ضربات جلادها ملبية رغبة جلاديها الجدد في سماع صراخها وهم يسمعون صوت صراخها متلذذين بضربهم لها، حنى أحد العناصر ياسمين ضاغطاً على رأسها وهو يأمرها بعدم رفع رأسها مهدداً إياها بعقاب قاسي في حال مخالفتها للتعليمات، لم تعد تجرؤ على النظر فالزنزانات كثيرة وأصوات صراخ المساجين تملؤ الرواق ولا شيء تراه إلا قدمي سجانها والأرض الرمادية وقدميها المنتفختان من شدة العذاب، عندما كان يرميها بالزنزانة الضيقة قال لها (كلن كم شهر بعدين بتتعودي) أغلق الباب وبدأت تحاول برفق سند ظهرها على الحائط محاولة الإبتعاد عن مكان الألم والتقرحات التي تملؤ جسدها الرقيق الذي كان من المفروض أن يتمايل على رقصاتها مع صديقاتها يوم النصر وتدمع عيناها على الحال التي حلت بها وفي نفس الوقت تواسي ألمها بتجاوزها اليوم الأول من العذاب ، بدأت تحاول ملامسة قدميها وهي تعض على شفتيها من الألم عند كل ملامسة لهما، بدأت تتحسس خاتم خطوبتها الذي لم تأخذه الضابط منها وبدأت تتذكر كلمات يزن لتشعر بما كان يشعر فيه عندما كان يخوض المعارك الشرسة في الغوطة وأمضت ليلتها معانقة الخاتم كأنها تعانق الأمان الوحيد لها في هذا الوكر المتوحش.

تمضي رشا يومها الثاني في غوطة دمشق تستمتع بجولتها للتعرف على أراضي الغوطة بصحبة عمَر، تشعر رشا بقوة كبيرة وأمان فقد باتت اليوم تجلس في أرض يسيطر عليها الثوار الذين لم يرضوا الذل الذي كتبه القدر عليهم منذ ولادتهم إلى هذه الحياة ولكن الحزن في قلبها على فراق المدينة التي ترعرعت فيها كانت تغص عليها فرحتها بالحرية، كانت سابقاً تزور

الغوطة وهي تعلم متى سوف تعود أما اليوم فدمشق باتت حلماً صعب المراس، على طريق بلدة جسرين المطل على جبل قاسيون تشاهد رشا الأضواء المنبثقة من سماء دمشق لتتمنى أن تصبح مثل حمامةٍ تتجاوز الحواجز العسكرية من أجل زيارة صغيرة لحيها ومنزلها هناك.

الألم يتمدد في جسد ياسمين التي بدأت تتحسس نتائج العقاب الذي نزل على جسدها طيلة اليوم السابق تحاول التماس البقع الزرقاء والحمراء الموزعة في كل ناحية من جسدها برفق وحذر كي لاتيقظ الألم من سباته عندما تكون ساكنة وعظام فكها كأنها تحركت من مكانها، تريد أن تتعرف على شكل وجهها بعد الصفعات واللكمات التي استقبلتها البارحة، قدمها منتفخة جداً وباتت قدمها الناعمة الصغيرة مثل قدم لمرأةٍ كبيرة في السن ثخينة من الانتفاخ الذي حل بها، في هذه الغرفة الضيقة التي زادت آلامها بها الأرض المتعرجة التي نامت عليها هذه الليلة تنتظر عقوبة اليوم وهي تفكر بالإجابات التي يجب عليها أن تجيبها للأسئلة المتوقعة فيبدو لها أن حيدر يعرف عن يزن وعمر ولابد لها أن تنكر معرفتها الوثيقة بهما علها تكون أسيرة للوصول إلى أصدقائها.

تنظر باتجاه الباب بعينيها الساحرتين منتظرة جلادها وقلبها يرتعد فالآن أتى وقت العقاب تحاول إخفاء خوفها عن تفكيرها محاولة إقناع نفسها بأنها في تجربة سوف تمر لتعودة حرة خلال فترةٍ قصيرة، فتح يعرب باب الزنزاة وأمرها بالوقوف ووضع وجهها باتجاه الحائط وقفت ياسمين مستعدة ووضعت يديها على ظهرها ولكنها تلكأت من شدة الألم في أسفل قديها (باستعداد ولك حيوانة) بصوت هجين ولؤم كبير أمرها بالوقوف باستعداد رغم كل الألم الذي يستبيح جسدها الرقيق، لامجال للمساومة فالأمر العسكري يجب أن ينفذ وقفت ياسمين باستعدادٍ ضاغطة على الانتفاخات في أسفل قدمها خافضة رأسها باتجاه الأرض، دخل يعرب الذي يدوس بنعله

وكأنه يجره جراً وسيجارته لاتفارق شفتيه (رجعي ايديكي منيح وشدي كتاف) كانت هذه كلماته المرافقة للكمةٍ على كتفها وهي تنفذ الأوامر صامتة بإتقان، شد وثاق يديها ووضع لها الوشاح على عينيها وأمرها بالانحناء والسير بالاتجاه الذي يشدها إليه، الضغط على الألم في الخطوات أمر صعب جداً ولكن التسبب بعقوبة أمرّ أصعب وياسمين الآن بخيار بين أمرين كلاهما مر إما أن تعاقب بسبب تلكؤها على تنفيذ الأوامر بالإضافة لعقوبتها أو أن تعاقب نفسها بصمتها عن الألم ليستمر العقاب الرئيسي تصعد الدرجات لتمشي على خطى يعرب الذي يمسكها من ثنية الجاكيت الذي تلبسه وتستقبل في كل حين في الطريق ضربة بعصا أو ركلة بساق يعرب على وجهها، وصلت إلى غرفة التحقيق الخاصة بحيدر وجلست جاسيةً على ركبتيها موثقة بسرير حديدي لمدة ساعتين، دخل حيدر إليها وسأل ضيفته متهكماً (شو ياحلوي كيف لقيتي الحربي كيسة مهيك كيسة غرفتك عجبتك خمس نجوم مهيك) أجابته ياسمين منكرة معرفتها بما يقول (أنو حرية أنا طالبة جامعة ومالي علاقة بشي) تلقت صفعة على وجهها وقال لها أنه ليس بحاجة إلى التحقيق معها فهو يعرف عنها كل شيء أما العقوبة فهي أمر اعتيادي يجب عليها التعايش معه فهذه الحرية التي تقدما الحكومة للمواطنين، خرج حيدر وبدأ بحديث تفاخر مع يعرب وقال له (شفلي هالحركة كيف بدي شللك أمها من اختراعات خيك حيدر) فك حيدر وثاق ياسمين عن السرير وأعاد الوثاق ليلف معصميها من خلف ظهرها (شوفي هلق أول مابتاكلي الكرباج بتنطي متل الغزال لآخر الكوريدور نشان تتعود رجليكي عالفلقة ووقت بصفرلك بتوقفي وبترجعي وعيونك مغمضة طبعا) وقفت ياسمين مستعدة منتظرة أمر الانطلاق حتى تلقت ضربة السوط وانطلقت بأقصى سرعة بقدميها الحافيتين منفذة أوامر حيدر ولكنها لم تركض إلا أربعة أمتار حتى اصطدمت بباب حديدي ووقعت أرضاً لاترى شيئاً وتستمع إلى قهقهات حيدر ويعرب، قال يعرب لحيدر الذي يبدو أن

صداقتهم وثيقة (طول عمري مايقلولي حيدر ابن حرام هلق كل مالي مأتأكد أكثر عيني اللي خلقك ياحيدر) أمر حيدر ياسمين بأن تعيد الكرة وقلبها يخفق من الألم الذي سيحل بها ليضاف إلى لائحة الآلام التي سوف تعدها فهذه المرة تعلم أنها سوف ترتطم، حاولت أن ترتطم بسرعة أقل مما أثار جنون حيدر الذي بدأ بضربها بالسوط لمدة خمس دقائق وجسدها يتمايل يميناً وشمالاً في الأرض متوسلة إياه الرحمة، عادت في المرة الثالثة لتركض باتجاه الباب الذي يجب أن ترتطم فيه وهي مندفعة باتجاهه بأقصى سرعة وراحت تكرر العملية عدة مرات، كان أصدقاء حيدر يلقون عليه التحيات ويثنون ذكائه ومنهم من يقرر أن يتبع نفس الأسلوب مع سجنائه، توقفت ياسمين لتجثو على ركبتيها والدمع والدماء تنهار منها حتى ابتل الوشاح الذي يضاعف ألمها فهي لاتعرف متى وكيف سوف تستقبل الضربات الموجهة إليها أو ماهي نوعية العقوبة التي سوف تنصب على جسدها الذي لم يعرف نوعاً واحداً من أنواع التعذيب طيلة حياتها.

أعاد حيدر ياسمين إلى غرفة التحقيق ووضعها على كرسي حديدي وشد وثاقها كما أزال الوشاح عن عينيها فهذه العقوبة يجب أن لاتكون مباغتة فهي عقوبة نفسية قبل أن تكون جسدية (ليكي ياياسمين نشان ماتتشاطري عليي هي الفيديو وأنتي ماتداوي الجرحى بالميدان كمشته بكاميرا لواحد من جماعتك لذلك التهمة تبعك جاهزة وأنا هلق عم أتسلى تسلاية فيكي تعلمك شو يعني تداوي إرهابي) كان يحمل بيده كبلاً كهربائياً وقام بوصله بتيار كهربائي، وبدأ بتمريره حول جسد ياسمين مخيفاً إياها، بدأ حيدر بوضع الكبل الكهربائي لعدة ثوان وإزالته والاستمتاع بياسمين التي تصرخ وتتوسل، فك حيدر وثاق ياسمين وخلع عنها الجاكيت وبدأ بخلع حجابها حاولت ياسمين مقاومته والصراخ في وجهه مماجعلها تستقبل صفعات حيدر ولكماته على جسدها وضربها بخرطوم المياه الذي أصبحت خيوطه الناعمة تغرز بجسد ياسمين وهي تصرخ خائفة من أن ينوي حيدر اغتصابها، وضع

يده على شعرها وقال لها(عيني ربك لك هيك مأحلالك شو بدك بأخت الحجاب والبانطو ماتخفي كل هالجمال عالشباب) ورماها موثقاً إياها على السرير منتظرة المجهول، مرت خمس ساعات على ياسمين وهي تبكي على إجبارها خلع حجابها الذي يعتبر من الأمور الاعتقادية الأساسية في عقيدتها وهي الآن في مكان لايوجد لمعتقد فيه ثقل والسلطة الوحيدة هي القوانين العسكرية التي يحددها كل محقق على هواه من دون أي قانون ردع تحت مسمى الدفاع عن الوطن والقوانين أساساً في النظام السوري إن وجدت فهي لاتستطيع النفوذ لأن النظام في سوريا مشكل من مجموعة من الميليشيات التي تزينت بشكل مؤسساتي ولكنها بالواقع موزعة مثل عصابات المافيا ولكنها تحكم البلاد، دخل العناصر وفكو وثاق ياسمين وأحضروا إطار عربة وأمرو ياسمين بالدخول وثني جسدها داخله وهي الطريقة الأخرى التي تتلقى بها عقوبة على أسفل قدميها (برضايي عليكن ياشباب أني قاعد بالمكتب بدي أتنغم بصوت ياسمين) عندما يطلب من عنصر في المؤسسة الأمنية أن يبرز قوته على معتقل يتفنن العنصر بإثبات ولائه ورجولته على الإنسان الضعيف الذي لايستطيع المقاومة وخصوصاً على فتاة رقيقة كياسمين يصبح التفاخر والمراءاة والتحدي بين العناصر بمن يستطيع تحقيق ضربات أقوى يستعرض كل عنصر فيهم قوة عضلاته على الأسير الأعزل بين يديه، أمضت ياسمين ساعة ونصف تحت جلدات السوط على أسفل قدميها وضربات أخرى على كل ناحية من جسدها المطوي وبعض العناصر يشدون شعرها ويقومون بإزاحتها من زاوية إلى أخرى بالغرفة وكأن ضرب فتاة صنعة تغذي لهم غرائزهم لاتدري ياسمين إذا كان هؤلاء العناصر ينتقمون منها أم يمارسون هواية المتعة في ضربها ولكن جل ماتدركه أنها تسمع قهقهاتهم عليها وهي مرمية بين أيديهم وكأنها كائن لاحقوق له لاينتمي إلى صنف الإنسان، ولو لم تكن تسمع كلماتهم التي تخاطبها بالأنوثة لظنت أنهم يظنونها رجلاً يقف بين يديهم، وهي في ليلتها

الثانة داخل الزنزانة كانت تبكي من الألم الإنساني فحجابها من المقدسات في عقيدتها رغم أنها تعلم أنها مجبرة ولا حرج عليها ولكنها كانت تتكتل على نفسها مثل قطة خائفة من عدو يتربص بها ولاإستطاعة لها على المقاومة، تجلس في الزنزانة وشعرها منسدل على قدميها تحاول إيجاد طريق تستطيع من خلاله إيجاد الأمل ولو حفنة صغيرة منه ولكن هذه الأبواب المغلقة بالأقفال أقفلت معها جميع الأبواب التي كانت ترسم لها بقعة ضوء في هذه الحياة المظلمة لتنام من التعب بسبب الدموع التي أرهقتها أكثر من العذاب طيلة النهار فقد أمسى الألم النفسي يؤثر فيها أكثر من الألم الجسدي بآلاف المرات.

رأت ياسمين يزن بالحلم هذه الليلة يزن وهو يقبل يديها في أرض الديار داخل منزله ويطلب منها أن ترافقه إلى السوق من أجل أن يشتري لها تاج العرس الخاص بهما من أجل يوم الزفاف وانطلقت معه وهي سعيدة وكأن شيئاً لم يكن فقد كان وسمياً كعادته ضحكاته كماهي لايوجد أي عنصر أمن في الشوارع وهي مستلقية في الحقيقة على أرض زنزانتها وعيونها المغلقة تملؤ الأرض بالدموع، استيقظت في تلك الليلة في وقت صلاة الصبح وبدأت تصلي وهي جالسة وبدأت تدعو الله بفرج قريب فعندما خاب رجاء من أي شيء يخرجها من هالة اليأس التي تعيشها يمثل حضور يزن إلى حلمها وقع كبير ليرطب لها جرحها الملتهب في أعماق قلبها وأمضت صباح اليوم تمزج ابتساماتها وشوقها بالدموع ففي هذا المكان يكون للشوق طعم آخر طعم الشفقة على النفس وعلى ماكتبه لها القدر.

كم من الصعب أن تكتب عن آلام فتاة في المعتقل أو حتى أن تسمع شهادةً لفتاة كانت في المعتقل قد تترك الورقة التي تكتب عليها وكأنك تحاول أن تنكر أن شيئا كهذا حصل وماإن تقترب لتكمل مابدأت حتى

تشعر بالخوف من المتابعة أشد خوفاً من خروجك لمعركة عسكرية طاحنة لأول مرة ولكن الواقع المؤلم الذي تدركه أن كل هذا بل أكثر من ذلك قد حصل.

استطاع والد ياسمين ترتيب زيارة مع جميل حسن بعد أن دفع رشوى نصف مليون ليرة سورية من أجل أن يعرف مكان ابنته ودفع ثمانمائه ألف ليرة سورية من أجل ترتيب اللقاء مع جميل حسن بغية إقناعه على التفاوض لإخراجها، دخل والد ياسمين إلى مكان اعتقال ابنته في فرع المخابرات الجوية داخل مطار المزة العسكري مكسور الظهر مشغول البال على حال ياسمين، دخل إلى الرواق الذي يوجد فيه مكتب جميل حسن رئيس الفرع وهو في الطريق يمشي خطاه حذراً مع الضابط المرافق له، خرج حيدر من أحد المكتب ليمر من جانب والد الفتاة التي أصبحت دمية يتلذذ في تعذيبها من دون أن يعرف والد ياسمين أنه هذا الضابط هو ذاته الذي لم يترك مكاناً بجسد ابنته إلا وترك لها فيه تذكاراًمن الألم، دخل والد ياسمين إلى غرفة جميل حسن بعد انتظار لمدة ثلاث ساعات استقبل جميل حسن المعروف بجبروته والد ياسمين والضابط المرافق له وطلب منهم أن يحددوا الأمر الذي قدموا من أجله، أعطى والد ياسمين اسم ابنته الثلاثي وقاله له أنها موجودة عندكم ونحن مستعدون إلى التكفل بما يلزم لإخراجها فهي شابة مثقفة لاعلاقة لها بالثورة، يعمل جميل حسن وفق مزاجه ففي حال لم يكن مكتفياً من المعتقل الذي لديه يرفض جميع الرشاوي التي تقدم إليه أما في حال انتهائه منه فيساوم عليه بمبالغ طائلة كتب لياسمين أن تكون ملفاً رئيسياً في ذهن جميل ممادفعه إلى تغيير معاملته لوالد ياسمين وإخباره بأن هذه الفتاة لن تخرج من هذا المكان مهما أتته الوسائط ولايستطيع أحد أن يأمره بإخراجها مهما كانت سلطته اغرورقت عينا الحاج أبو أحمد وبدأ يتوسل لجميل وأخبره أن ابنته فتاة جامعية لاعلاقة لها بمايدور في البلاد، أخرج جميل ملف ياسمين وبدأ والدها يشاهد ابنته وهي

تسعف طفلاً صغيراً لم يبلغ من العمر أربعة سنوات في معركة الميدان من داخل النقطة الطبية وقال جميل لوالدها أنها كانت تداوي الإرهابيين وتعالجهم وأنه لن يسمح لفتاة كهذه من رؤية النور من جديد وأضاف له قائلاً (بتروح لعند مرتك بتقضو ليلة هنية وبتوصوا على وحدة غيرا بس هالمرة ربوها تعرف حدودا نشان ماتلحق أختها) لم يترك والد ياسمين طريقةً إلا واستخدمها لمحاولة إقناعه حتى أنهى رئيس الفرع المقابلة طارداً والد ياسمين خارج مكان اعتقال ابنته وهو يخطي خطواته إلى البوابة الرئيسية كان الحاج ابو أحمد يغلي من الألم على ياسمين ويشعر بالذل والهوان والعجز عن إنقاذها، عندما يصل الرجل الشرقي إلى العجز تنزل دمعة قهر تسمى هذه الحالة بقهر الرجال ولكن ماذا عن قهر امرأة أو فتاة في المعتقل هل يوجد تعبير لحالتها في أي لغة عالمية تصف فيها ماذا يعني قهر النساء.

تنظر من فتحة شقٍ صغير في نزنزانتها بعد مضي شهرين على إقامتها داخل هذه الغرفة الضيقة لتجد في هذا الشق الذي لم يصلحه بعد فنيو الفرع وصلا لها مع العالم الخارجي من داخل الزنزانة مشاهدةً المعتقلين يسيرون كما تسير كل يوم أو يومين منحني الظهر والرؤوس رجالاً ونسائاً بأعداد كبيرة يمرون تشعر بالوناسة بوجودهم رغم أن هذه العلاقة التي تربطها معهم علاقة من طرف واحد وكانت أحياناً ترى بأنها مميزة عن باقي المساجين وحالها أفضل من حالهم فهي لديها هذه الفتحة الضيقة التي تستطيع من خلالها أن تتعرف على حال غيرها من دون أن تعاقب ولكنها ومنذ شهر لم تستطع معرفة قصة الكلب الذي ينبح قريباً من زنزانتها وهي تسمع صوت صفقة المحقق ومن ثم تسمع صوت نباح الكلب وكأن هذا الكلب يتلقى أوامره بالنباح بعد كل صفقة تحاول كثيراً أن تسترق النظر إلى هذا الكلب الذي يؤنسها طوال النهار وأحيانا في الأوقات الليلية ولكن عينيها لم تستطيعان النظر أكثر مما تتيحه لها الشقة الموجودة في الزنزانة، بعد

مرور خمسة عشر يوماً بدأت تسمع صوت الصفقة يتلوها صوت النباح ومن ثم تسمع صوت صافرة ليتلوها صوت مواء القطة وبعد عدة أيام بدأ الكلب والقطة يتعاركان وينهش كل منهما الآخر عند صدور أمر بداية المعركة بسام هو أحد المسؤولين عن إدخال الطعام لزنزانتها وهو شاب يخدم خدمة إلزامية في الأمن السوري يساعد المساجين في الخفاء ليخفف عنهم آلامهم ولو حتى بابتسامة بسيطة فهو العنصر الوحيد في هذا المكان الذي يرأف في حالة ياسمين، أدخل بسام طعام ياسمين ووضع لها وجبة البطاطا المسلوقة والملح وسألته ياسمين بصوت منخفض (شو قصة الكلب والطقة انشلشت وماكنت أعرف شو قصتن) سألته وهي مهتمة بهذه القصة البسيطة التي قد لاتدرك أنها قد تكون محط اهتمام لإنسان بات منفصلاً عن العالم الخارجي حتى تجرب المكان ذاته (أنتي شوبدك فيهن فتحي إيدك وخدي هالمرهم نشان رجليكي وفركي إيدك منيح نشان مايحسو أني عم جبلك شي هاد المرهم بيخدر الوجع منيح وقت الفلقة) أصرت ياسمين معرفة قصة الكلب والقطة ولم يستطع بسام إلا أن يخبر الفتاة التي لم يستطع العذاب أن يزيل مافيها من جمال وأخبرها بأن هذا الكلب هو شاب تحت قبضة العقيد مازن وقد ابتكر العقيد طريقة يسلي بها نفسه فأمره بالجلوس على باب غرفة التحقيق الخاصة به وعندما يصفق له يبدأ بالنباح وبعد مرور فترة أحضر له شاب ليلعب دور القطة ويجلس كل منهما مقلداً الحيوان الذي اختير له ويتصرف كما يتصرف ذلك الحيوان أما القطة بتبدأ بالمواء فور سماعها صفارة العقيد مازن وعندما مل العقيد من اللعبة التي ابتكرها أمرهما بالقتال مثل قطة وكلب عندما يعض أحدهم الآخر يجب أن يصدر صوت الحيوان الذي يمثله وإن شعر العقيد بأن القتال غير حقيقي ولم يرى فيه دماء يحصل كل منهما على جلسة عقاب خاصة، شكرت ياسمين بسام على مساعدته لها وانطلق مغلقاً الباب حتى لايشعر أحد بأي شيء خارج عن المألوف، تتابع اليوم وتلعب بخاتم خطوبتها لترسم في هذه الحالة من

اليأس مخططاتها في حال خروجها من هذا السجن وكانت تحلم باللحظة التي يدخل فيها الثوار ويفتحوا باب زنزانتها لتتنشق الهواء الطلق خارج حدود هذه الغرفة المظلمة، بدأت فجأة ياسمين تضحك بصمت على حالتها لتستطيع إدخال دمعة الألم إلى مكان عميق في فؤادها الجريح فقد كانت تضحك على الجامعة التي قد لاتزورها مجدداً وعلى محلات الطعام الفاخر التي لن تذوق طعم مأكولاتها مجدداً وعلى حال والدتها ووالدها في ظل اعتقال ابنتهم المدللة ولكنها لم تستطع أن لاترفق ضحكتها بدموع الطفولة فقد تحولت الابتسامة الساخرة من الواقع المرير إلى دموع كثيفة وقلب لشفتيها مثل طفل صغير أبعدت عنه لعبته المفضلة لتعود وتدعو الله أن ترى يزن قريباً لترتاح من هذه الدنيا المظلمة، لاتستطيع ياسمين أن توازن وتفرق بين مشاعرها هنا فعندما تكون في هذا العالم السفلي تصبح الأفكار أمراً عجيباً وآلة جبارة تتوافد على عقلك الذي يبحث عن فسحة أمل، كم كانت تتمنى ياسمين بأن تملك ورقة وقلم في الزنزانة الممنوع فيها أن تصطحب إنسانيتها برفقتها وتدون مايدور في بالها من أفكار.

١٩-٣-٢٠١٣

مر على ريف دمشق أكثر من تسعة أشهر بانقطاع تام للتيار الكهربائي والهواتف النقالة، تعيش رشا التي باتت تتأقلم على الطبيعة الجديدة لحياتها والتي باتت معروفة لدى الكثير من الثوار وأصبح اسمها يطلب كثيراً على أجهزة اللاسلكي لتكون المسعفة الأولى على الجبهات وتساعد في إنقاذ العالقين تحت الانقاض وإسعافهم، كانت تتمنى أمراً واحداً فقط وهو أن ترى صديقتها حرة طليقة لتتابعا سويةً المشوار الذي كانت ياسمين بوابتها الرئيسية إليه، بدأت تتعلم هذه الفتاة الثائرة أساليب العيش البدائي فغلاء الأسعار وانقطاع أسباب العيش الرئيسية بدأ بدفع القاطنين في الغوطة على استبدال الغاز بالحطب وتعبئة خزانات المياه بالعبوات التي تملأ من الآبار،

وكانت الغرف الطبية تستخدم البطاريات من اجل الإنارة بأضوية تستهلك ١٢ فولط كجهد للإقلاع، عندما يأمر الدكتور أحمد رشا في غرفة العلميات أن تضيء الغرفة بالكشافات فهو يعني إشعال هذه الإضاءة البسيطة وبات وجود الكهرباء بالنسبة لرشا أمر غريب بل ورفاهية ووجود الغاز أمل لاتستطيع التفكير فيه والنقص الكبير في المال كان في الكثير من الأحيان يجعل رشا تأكل وجبة واحدة من البرغل في اليوم **(قول بسم الله عالأكل)** هذا ماطلبته رشا من عمر في وجبة الطعام أجابها عمر مازحاً **(ياستي مابدي قول بسم الله بدي خلي الشيطان يجي ويدوق أكلنا خليه يعرف النعمة اللي عايش فيها).**

تجلس ياسمين لأول مرة وهي غير موثقة بجانب فتاة أخرى تدعى فاطمة من مدينة حمورية في ريف دمشق في الرواق بجانب مكتب التحقيق وكل منهما تنتظر دخولها إلى المحقق المسؤول عن ملفها، تعلم كلا الفتاتين أنهما سوف تسمعان صراخ بعضهما عندما يأتي دورهما للعقاب، بدأت الفتاتان تتبادلان الحديث الذي كان لياسمين أمراً بغاية الروعة فهي لم تتكلم مع فتاة طوال أربعة أشهر وقد كان من حسن حظهما طول انتظارهما في الرواق، فاطمة شقيقة احد الثوار في الغوطة أخذها حاجز الجيش وهي خارجة من الغوطة إلى دمشق لتبقى رهينة ريثما يسلم شقيقها نفسه ولكن شقيقها استشهد ولاتعلم إن كان سيخلى سبيلها أم لا وهي تنتظر مصيرها بعد أكثر من ثلاثة أشهر من استشهاد أخيها، بينما كانت الفتاتان تتبادلان أطراف الحديث وقف شاب بجانب غرفة المحقق ورفع الضابط الوشاح عن عينيه وبدأ يتحدث معه بعد قليل أدار المحقق وجهه عن الشاب الذي انتبه لوجود ياسمين وفاطمة، شعر الشاب بغضب على حال كل منهما وخصوصاً ياسمين التي تبدو آثار الكدمات واضحة على وجهها وأسفل قدميها الحافيتين ولكنه حاول أن يظهر لهما بصيصاً من الأمل مغافلاً المحقق أرسل الشاب رسائل صمت بلغة العيون تدل على تعاطفه معهما وكأنه يبشرهما

بنصر قريب وحرك إصبعيه لهما بإشارة النصر متبسماً ابتسامةً كفيلة لإعادة الثورة إلى أيامها الأولى في فؤاد ياسمين وفاطمة وكفيلة لتشكيل طاقة هائلة من الحيوية والقوة والتحدي للفتاتين، شعرت الصديقتان الجديدتان بالسعادة الكبيرة وبدؤوا الحديث عن شجاعة الشاب وشعور كل منهما اتجاه إشارة النصر، كتب على ياسمين وفاطمة ماكتب على مئات الألوف من السوريين الذين كتب لهم القدر أن يواجهوا أعتى ديكتاتورية عرفها التاريخ الحديث، أمضت ياسمين تلك الليلة في زنزانتها رغم الألم الذي تعرضت له من العقاب الذي أصبحت تجربه في كل أسبوع ثلاث مرات تعيد لقطة الابتسامة المترافقة بإشارة النصر رغم الوثاق الذي يحبس معصمي الشاب لتذكرها بأن الإصرار في هذا الطريق لن يأتي بالثورة إلا بالانتصار.

انتقلت لويز من لبنان إلى الحدود التركية السورية بعد مضايقات كثيرة تعرضت لها من نفوذ حزب الله الراديكالي الشيعي وتعرفت هناك على مجموعات إغاثية وبدأت بالعمل لمساعدة النازحين واللاجئين مع سيدة سورية، عرضت زينة على لويز مرافقتها لها إلى داخل الأراضي المحررة في الشمال السوري لمساعدة نازحين جدد من مدينة اللطامنة، تسير لويز ورفيقتها مع الدليل ناقلين المساعدات للأهالي النازحين، اجتمعت لويز ورفيقتها بطفلة صغيرة وأجرت معها مقابلة تسألها عن حالها التي لا يخفى لناظر أنها مصابلة بالإرهاق والتعب بعد هجرتها من منزلها وقريتها التي بدأ النظام اقتحامها خوفاً من مجزرة قد تصيب عائلتها (ولك يخرب بيتك صرلن يومين هون لاأكل ولاشرب ولا حرامات عم ننام عالأرض) تقول كلماتها والدموع تنهمر من عينيها فهذه الفتاة التي لم تتجاوز الحادية عشر من عمرها علمها القدر بشكل مبكر ماتعنيه الحرب وهي لم تكن تدرك إلا ألعابها الطفولية وأصدقائها في مدينتها الريفية المتسمة بهناء العيش وبساطته، تابعت الطفلة مجيبة على سؤال صديقة لويز ماذا تريدين (بدنا حرية غص من عنو بدنا ناخدا) عندما ترى الإصرار ينطق من لسان الأطفال

وعقولهم هذا يعني بأن النضال سيستمر ولن يهدأ حتى يصل مراده بغض النظر عن المصاعب التي سوف تواجه طريقه المتعثر ختمت الطفلة قائلة بكلام يختصر معاناة المواطن السوري (ولك يخرب بيته عم يقتلنا نشان الكرسي لك ياخدو ويروح).

في هذه الأراضي المحررة تمنت لويز أن تكون صديقتها ياسمين برفقتها لكي ترى العجائب التي تراها بعينيها فألعاب الأطفال تحولت إلى تشييع شهيد أو عمل فريق طبي للبنات وأحيانا يلعب الأطفال دور المتظاهرين وعناصر الأمن ليمثلو ماكان يجري أمام عيونهم ومن ثم تأتي مجموعة من الجيش الحر التي تستخدم العصي على أنها بنادق لكي تنقذ المتظاهرين من يد عناصر الامن، كانت لويز ورفيقتها تحلمان برؤية دمشق محررة من أسرها مطلقة عنانها علو السماء.

٢٠١٣-٤-٣

فتح حيدر باب زنزانة ياسمين وهو يدخن سيجارته، جلست ياسمين التي كانت مستلقية وبدأت تنتظر اوامر حيدر للعقاب لكن الوقت لم يكن اعتيادياً لحضور حيدر، رفع بنطاله فوق بطنه ودخل إلى الزنزانة وأغلق الباب، تراجعت ياسمين ثانية نفسها رابطة ساقيها بيديها حتى بدأ يخلع قميصه وأمرها بخلع ملابسها وهذا ماأثار جنون ياسمين، اقترب حيدر من ياسمين فركلته بقدمها ودفعته إلى الخلف مماأثار غضبه ووضع سيجارته على حافة الباب وانقض عليها مثل ماتنقض الحيوانات الشرسة على فريستها بدأت ياسمين بالمقاومة ولكن من دون فائدة (لعند أهلك مالك راجعة انبسطي شوي وابسطيني وعلى قد مابتبسطيني وبتكوني آدمية بترتاحي معي بعدين) خرقت ياسمين بأظافرها وجه حيدر وحاولت إبعاده ممادفعه لصفعها وتهشيم رأسها في الحائط وبدأ بتمزيق ملابسها، ينهش جسدها بأسنانه من دون رفق وينهش ثديها والحلمة حتى ظهرت علامات أسنانه واضحة

مثل حيوان شرس يغرز أنيابه فيها، رأسه فوق رأسها وشعر جسده الكثيف يصيبها بالغثيان وياسمين تصرخ وتتنجد.

في الزنزانة المقابلة سمع شاب معتقل ياسمين شعر بالنيران تخرج من جسده لم يستطع أن يقاوم غيرته على الفتاة ولم يعد يهمه ماسوف يحدث معه وأيقن أن سكوته الآن يعني ألم يصاحبه طوال حياته، بدأ يركل الباب ويصرخ (فلتها يابن الكلب فلتها والله لالعن أبو على أبو بشار فلتها يابن الحرام) لم تمض إلا ثوان حتى قدم حوالي عشرين عنصر وفتحو باب زنزانتة واندفع الشاب محاولاً مقاومتهم، انهالت العصي على رأسه حتى فقد وعيه وجره العناصر إلى غرفة التعذيب وهو موثق.

(لك أنا عم ساويها معك هون نشان خليهن يسمعوا فكرك حدا حيفيدك) أنزل حيدر عقب سيجارته من حافة الباب وأطفأئه على حلمة نهد ياسمين لم يستطع جسدها الضعيف الوقوف في وجه هذا الكائن الهمجي الذي يغتصبها وهي تسمع صوت أنفاسه فوق وجهها وتستقبل صفعاته لتشعر بكره الحياة كلها عند نزول دماء البكارة منها ومتابعته لاغتصابها ولاقدرة لأحد على إنقاذها، توقف حيدر بعد أن أنهى مايريد مع ياسمين وأشعل سيجارة وبدأ يدخنها وينفخ مخلفاتها على الفتاة التي بين يديه وعند انتهائه منها أعاد إطفائها على نهديها ومن ثم ربط حزامه وقال لها (المرة الجاية عندي بالمكتب) خرج مغلقاً باب الزنزانة وهي تجلس وكأنها مصابة بارتجاج بالدماغ عيونها تكاد تخرج من وجهها من شدة التركيز تحاول ستر نهديها بضم يديها عليهما جسدها يرتعش وتشعر بالغثيان وترى دماء بكارتها الذي يملؤ بنطالها، لم تكن تستطيع التفكير بأحد أو أي شيء لم يعد يهمها المجتمع ولا عائلتها ولايهمهاإن كان في هذه الحياة شيء جميل إلا أن تقتل حيدر بيديها وتمزق له أحشائه كانت مثل قطة مستشرسة تحاول الانقضاض على من يحاول إيذائها ولكن أظافرها لاتملك القدرة على الهجوم، بعد مضي

ساعة دخل حيدر وأعطى ياسمين ملابس عوضاً عن الملابس التي مزقها لها وكانت تنظر بعينيها باتجاه عينيه نظرات غضب وحقد وتوعد بجرأة كبيرة لم تعد تهتم بما سوف يحدث معها، كانت نظراتها مخيفة لأول مرة بالنسبة لحيدر الذي حاول تجاهلها وإغلاق الباب، إن أكثر الأمور صعوبة عند الفتاة الشرقية هي الاعتداء عليها جنسياً والاعتداء على أنوثتها في مجتمع محافظ لاتعرف الفتاة نظرته لها ولكن ياسمين لم تكن تفكر إلابالثأر ولم تكن مهتمة لأي شيء اسمه مجتمع، رغم كل ماعانته سابقاً كانت تحاول تحمل الآلام ولكن الآن بعد خسارة كل شيء لديها لم يعد أمامها إلا أن تتمرد على جلادها وإن كان الثمن حياتها فقد كان بالنسبة لها خلاصها وصوت أنفاسه النتنة مازال معشعشاً في أذني ياسمين.

في اليوم التالي كانت ياسمين متسمرة في مكانها لاتتحرك باتجاه شق الباب كعادتها، فتح بسام الباب على ياسمين ولأول مرة كانت تتجاهله قال لها (الشب يلي مبارح صار يعيط مشبوح ونازلين فيه قتل) لم تجب ياسمين بسام رغم مساعدته لها بدأت تشعر أنه يساعدهم بمجرد بقائه معهم أصيبت لفترة من الزمن بحالة كراهية للجميع وحقد على كل شيء جميل بحياتها ولم يعد يعني العيش لها كثيراً ولا حتى عائلتها.

دخل يعرب إلى مكتب حيدر وأخبره أن ياسمين مازالت مضربةً عن الطعام منذ سبعة أيام ولاتقبل أن تأكل أي وجبة وقد أخذوها وضربوها ضرباً مبرحاً لكي تأكل وصعقوها بالكهرباء ولكنها لم تكن تأكل إلا مايدخل في فمها عنوة فأجابه حيدر(اتركها كم يوم أنا بعرف شلون كسرلا راسا).

السماء تهطل الأمطار خارج السجن الذي يجلس فيه عشرات آلام المعتقلين في هذا العالم الخارجي ترتطم قطرات الماء في الأرض حرة طليقة لايهمها أي قيد وياسمين في جحرها ودموعها لاتفارق وجهها لاتستطيع نسيان أنفاس حيدر وهو ينهش كرامتها وكرامة كل من سمعها، كانت تفكر ماهي

طبيعة الحقد داخله والأمل بات شيئاً من الخيار العلمي بالنسبة لها بدأت قطرات المطر تنزل من سقف الزنزانة مجتازةً السواتر الإسمنتية لتنزل بين ساقيها وعيناها تراقب كل قطرة متسائلة عن هذا الإصرار الذي تملكه هذه القطرة التي تشتق طريقها عند أول فتحة ضيقة تتاح لها وهل تراها يوماً تستطيع أن تكون مثل حبة المطر لايستطيع أن يقف في وجهها أي جدار مهما اشتدت قساوته.

٢٠١٣-٥-١٢

يقضي أحمد شقيق ياسمين معظم وقته على الجبهات فقد انضم للجيش الحر فور اعتقال شقيقته وبات هدفه الوحيد في هذه الحياة لحظة اقتحام السجن الذي يزج بياسمين وكل فتاة معتقلة ولقاء شقيقته العنيدة التي ثابرت على الطريق الذي لم يستطع إكماله بداية من التعب واليأس حتى أعادت صدمة اعتقال ياسمين لعزيمته روح العمل الثوري، يركض أحمد من جبهة لأخرى ليلحق كل رصاصة تخفف عنه ألم خذلان ياسمين وعجزه عن تحريرها، يلتقي بعمَر ورشا في كل فترة ناقلاً لهم أخبار المعارك التي تجري على أرض الغوطة.

لم تعد في هذه الآونة المواجهة بين الثوار وجيش الأسد الابن فقد استعان نظام الأسد بميليشات حلفائه من لبنان والعراق وإيران وقدمت تعزيزات كبيرة حت أصبحت المعارك تحت قيادة حلفائه الذين أصبحو قادته، تعتبر الميليشيات التي استقدمها منتمية إلى فصائل وأحزاب راديكالية شيعية مثل حزب الله وميليشيات عراقية من لواء أبو الفضل العباس ومن فيلق القدس الإيراني، في إحدى المعارك على جبهة مرج السلطان في ريف دمشق كان أحمد يتنصت على التردد الذي يعمل عليه عدوه وكان الثوار يتقدمون على إحدى النقاط وقد استطاعو السيطرة على نقطة استراتيجية، سمع أحمد أحد العناصر يقول لغرفة العمليات وهو لبناني تابع لحزب الله (ابعتلي

مؤازرة بسرعة ولاتبعتها من كلاب الاسد بدي من رجالنا) حالة من انعدام الثقة باتت واضحة بين الطرفين وأحدثت مشاكل كبيرة حاولت السلطة السورية تفاديها من خلال تنفيذ أوامر سادتها الجدد.

٢٠١٣-٥-٢٢

فتح يعرب باب زنزانة ياسمين ووجه الضوء إلى عينيها لتغلقهما من الضوء القوي في هذه العتمة، أمرها يعرب من المضي معه وخرجت هذه المرة من دون وثاق وحتى من دون أن يحني لها جسدها الذي أصبح هزيلا وعيناها المكحلتان بسبب قلة الطعام، لون وجهها شاحب جداً لارونق فيه والمأساة التي حلت بها شكلت لديها حالة من اللامبالاة في أي شيء، دخلت ياسمين إلى أحدى غرف التعذيب، حيدر يقف حاملاً سوطه ويقول لياسمين (بتتذكر الحيوان اللي صار يجعر وسب سيادة الرئيس الليلة اللي زرتك فيها شرفي تعرفي عليه) صدمت ياسمين ممارأت عيناها فهذا الشاب هو ذاته الذي بث في نفسها ونفس فاطمة الأمل ونفس الشاب الذي انتفض غاضباً ليمنع اغتصابها في هذا الوكر المليء بالوحوش الشرسة ليدافع عن فتاة تغتصب لا يعرف من تكون، نظر الشاب بياسمين وحاول رسم ذات الابتسامة ولكنه كان منهكاً فقد قضى آخر عشرة أيام واقفاً على رؤوس أصابعه يداه موثقتان على العمود الذي فوقه، رفع حيدر مسدسه وضغط على الزناد لتنطلق رصاصة الموت غارزةً في فؤاد الشاب مهشمة قلبه كما هشمت فؤاد يزن من قبله (يا ولاد الكلب ياولاد الحرام ياولاد الكلب ياولاد الحرام) تصرخ ياسمين منطلقةً باتجاه حيدر وبصقت في وجهه ودماء الشاب تسقي أرض هذا المكان لتجعل فيه بقعة طاهرة، رمى حيدر ياسمين أرضاً وبدأ بضربها وانقض عليها عناصره يضربون الفتاة التي تجرأت على مهاجمة سيدهم (بدي علمك الأدب ولك حيواني هي مصير كل كلب بيساوي عنتر عندي) أمر جنوده بوضع ياسمين مكان الشاب الذي استشهد وأن يقومو بإرسال

جثمان الشاب إلى أهله وضمان توقيعهم على وثيقة قتله على يد العصابات الإرهابية، تفرغ حيدر لياسمين التي تقف على رؤوس أصابعها وتنظر نظرة التحدي لتواجه بها حيدر فلم يعد يهمها إلا كرامتها التي فقدتها منذ دخولها إلى هذا المكان تريد أن تكون حرةً هنا رغماً عن أنف الجميع، رفع سوطه وبدأ بضرب ياسمين لمدة تتجاوز أكثر من أربعة ساعات ممأدى إلى تقرح جسدها وتشقق جلدها وهي مغمى عليها من شدة الألم.

أحضر حيدر وعاء يحوي الملح ومزق ملابس ياسمين وبدأ بنثر الملح على الفتحات التي تنتشر في كل ناحية من جسدها ممادفعها إلى الاستيقاظ على ألم شديد يأكل جسدها الرقيق وختم يومه معها (تصبحي على خير) أصدر أوامره بأن تبقى ياسمين معلقة وأن تجلد أربعة مرات في اليوم.

٢٠١٣-٥-٢٩

بدأ عمَر وأحمد حملة جديدة من أجل تشكيل قوة عسكرية لدخول دمشق فكتائب اللواء الذي يعمل فيه أحمد تشارك في حملة لاقتحام المدينة من الجهة الجنوبية لدمشق وطلبو من أحمد أن يعمل على تشكيل قوة بمشاركة الألوية المقاتلة في الغوطة الشرقية، تحاصر قوات النظام وسادته من الميليشيات العراقية واللبنانية والإيرانية المنطقة الجنوبية لدمشق وأصبح الطعام مفقوداً في تلك المناطق حتى خرجت فتوى من علماء المنطقة الجنوبية تجيز للمحاصرين أكل لحم القطط بسبب انعدام الطعام وبات الخيار أمام الكتائب في المنطقة الجنوبية إما العمل باتجاه دمشق أو الموت جوعاً.

بدأ عمَر اجتماعاته مع قادات التشكيلات من أجل هذا العمل ورحب بعض القادات بالفكرة ولكنها لم تكن قادرة على تأمين احتياجات المعركة بسبب الطوق الذي بدأت الميليشيات الإيرانية فرضه على الغوطة ويرى هؤلاء بأن العمل المفيد أكثر هو فك الحصار من الجهة الشرقية للغوطة الشرقية

وعارض بعض القادات الفكرة مبرراً أن الوقت لم يحن للقتال داخل دمشق توصل عمَر إلى قناعة بأنه بحاجة لدعم ألوية لديها استطاعات كبيرة لهذه المعركة وهو مابدأ العمل عليه مع أحمد، كانت في هذه الفترة رشا تحلم بمعركة أخرى في دمشق علها ترى صديقتها محررة تحضر معها احتفالات النصر وأحمد يحلم بضم ياسمين العنيدة إلى صدره وتقبيل جبينها كان يحلم بأن يدخل غرفتها ليراها مستلقية على سريرها تلعب بهاتفها الذكي مثل طفر صغير، هذه هي أحلام الثوار الذين بدؤوا يرون الأمر من معاناة معتقل وأنين امرأة تفتش بسلات المهملات على طعام لاطفالها وزوجة لاجئة تعمل خادمة في منازل لبنانية من أجل قوت العيش رغم أنها كانت مدرسة في بلادها، فلم تعد القضية قضية محاربة للنظام فقط بل أصبحت قضية رفع معاناة الإنسان.

٢٠١٣-٦-٢

نائمة وهي معلقة تحلم بالرصاصة التي يجب أن تخترق فؤادها كما اخترقت فؤاد الشاب الذي لم تعرف اسمه وفؤاد يزن ولاتريد من هذه الدنيا إلا رصاصة تنهي لها المعاناة التي تمر بها والذل الذي يحاول أن يفرضه عليها كل من في هذا المكان وكأنه أمر صالح يرتكبونه وهي الوباء الذي حل بهذا البلد كأنها هي العميل للبلاد المعادية والمحتلة لبلادنا وهي التي تظاهرت طواعيةً من أجل أطفال غزة وساعدت في استقبال اللاجئين البنانيين في حرب ٢٠٠٦ وهي ذاتها التي كانت تتنغم بمقولة نموت كي يحيا الوطن لاتشعر بقدميها التي لم تدس عليهما منذ علقت ولاتشعر بجسدها كما لم يعد يهمها في هذه الدنيا إلا فراقها ولكنها لاتريد توسل حيدر على هذه المنحة كي لايمنعها عنها بغية إذلالها.

دخل حيدر وأمر بفك وثاق ياسمين وعندما فك الوثاق وقعت الفتاة أرضاً لم تستطع الوقوف والتقرحات تملؤ جسدها، مضت ربع ساعة حتى استطاعت

ياسمين الوقوف بمساعدة جلادها، قال حيدر لياسمين (مبروك خلصت زيارتك عنا) ولكنها لاتريد ان تنتهي الزيارة بلا رصاصة الموت وهي يائسة من العيش أجابته متأملة أن يقتلها بصوت منهك (الله يبارك فيك) قال حيدر للجلاد (طلع الآنسة عالسيارة وحطولا حجابها والبانطو تبعها)طلبت ياسمين قلادة الحاجة أم فهد التي أهدتها لها فأمر حيدر بإعادة القلادة بدأ الجلاد بمساعدتها برفق وهي تتحرك متكئة عليه تصعد الدرجات مودعة العالم السفلي من دون أي شعور يختلج قلبها بلا سعادة أو ألم لاتشعر بشيء ولا يهمها أي شيء فلم تعد تلك الفتاة التي تبعث الحياة بقلوب الموتى لم تعد تلك الفتاة التي تبعث الأمل لأصدقائها ببضعة كلمات ولم تعد تريد أن تكون حمامة تطير ولاقطرة ماء واستها ساعة اغتصابها، انتهت الدرجات وهي في طريقها على الباب الرئيسي للمبنى الداخلي شاهدت أم وأربعة أطفال مكبلون حالتها كحالة ياسمين عندما دخلت هذا المكان أول مرة وأطفالها يحاولون إخفاء دموعهم خوفاً من عقاب سألت ياسمين نفسها هل ترى كان أحد يراني وهو خارج عندما كنت داخلة إلى هنا وماذا تراه كان يفكر، دخل بعد قليل عنصر يحمل طفلاً يبدو أنه ابن المرأة نفسها عمره لايتجاوز السنة والنصف كان العنصر بسام، همست ياسمين في أذنه (دير بالك عليه وخليك عم تشتغل لربك) يضرب نور الشمس وجهها ليسطع مثل نور ملاك تخرج إلى الحياة دخلت ياسمين السيارة وانتظرت مجيء السائق، أتى حيدر وركب مكان السائق وركب معه ثلاثة عناصر (هي ماوصلك براسي يأآنسة ياسمين) انطلقت السيارة في شارع المزة الرئيسي لفت انتباه ياسمين كثرة انتشار العناصر باللباس العسكري في شوارع دمشق وشارات الميليشيات الراديكالية من حزب الله اللبناني والميليشيات العراقية، لم تعد دمشق كما كانت دمشق الياسمين باتت محتلة شعرت بأن مدينتها أسيرة مثل أسرها في الزنزانة زاد خناقها وشعرت بأن كل امرأة هنا هي ياسمين، قلت نسبة الشباب بشوارعها فمعظمهم باتو على الجبهات

مهاجرين مدينتهم التي ترعرعوا فيها ملاحقين القتال في مختلف المدن السورية، وقفت السيارة أمام إشارة ضوئية تقف امرأة تطلب المال لإطعام ابنائها (أنا نازحة من حمص وبدي طعمي ولادي) قال حيدر لياسمين (شايفة ياياسمين هي آخرة يلي بيطلع ضد سيادة الكتور بشار) ابتسمت ياسمين عندما قال كلمة دكتور لتقول في نفسها عن أي طبيب يتحدث عن طبيب يستأصل الشعب وهو السرطان عن الطبيب الذي يقطع الشرايين بدل أن يقوم بوصلها، اقتربت ياسمين من منزلها قال لها حيدر بأنه سوف يتفقد أمراً ثم يوصلها إلى بيت أهلها المشتاقة لهم، وصلت إلى مكان يقع بين حيي القابون وجوبر ، نزل العناصر من السيارة وساعدها أحدهم على النزول، ذهب حيدر وبدأ بالتكلم مع أحد الضباط، أخذ العناصر ياسمين إلى بناء قريب لترى الشارع الذي كانت تجول فيه قبل عام وقد بات الخط الأول للجبهة أصبح الطريق مدمراً والسيارات مقلوبة على رأسها والأشباح تسكنه والصوت الوحيد الذي ينطق هنا هو صوت الرصاص، علمت ياسمين بأن أمرا ما يجري يبدو لها بأنها سوف تقايض على أحد الأسرى لدى الجيش الحر، شعرت بالسعادة لأن الجيش الحر استطاع التقدم إلى هذا المكان من دمشق فلم تعد الخطوات بعيدة عن منتصف العاصمة، دخل حيدر إليها وخلع عنها الحجاب والجاكيت ولم تعد تقاومه هذه المرة أبداً لكنها أدركت أن أمراً ما معد لها في هذا المكان وهو ليس باغتصاب اشتمت رائحة الموت قريبة منها لعلها رائحة الخلاص (ليكي بتقطعي هاالشارع إذا وصلتي عالطرف التاني صرتي حرة غير هيك الله يتقبلك بس بدك تساعدي حالك وتمشي عرجليكي) ابتسمت ياسمين التي أدركت أنها الطعم الذي يحتاجه هؤلاء الوحوش لإغتنام فريستهم كما حدث مع مراد أجابته بمكر الخلاص (تكرم) لم تكن تقوى على الحراك بسهولة خطواتها لم تكن متقنة انطلقت باتجاه الشارع وبدأت تقطع الطريق الفاصل بين الجيش الحر وجيش النظام شاهد قناص الجيش الحر ياسمين كما انطلق أحد العناصر من الجيش الحر من

كتيبة مجهدي الصالحية وبدأ يصرخ لياسمين كي تركض تجاهه كانت ياسمين تمشي وكأنها سكرة تترنح يميناً وشمالاً لاقدرة لها على الركض بينما يقف حيدر ويضحك مع قائد القطاع ويقوله له (بيعرفو أنه طعم بس هدول سيدي جماعة النخوة هلق أبتلاقيه غير مايقتل حاله كرمالا شعب جحش) وصلت ياسمين إلى المنصف للطريق عندما أمر قائد القطاع القناص بضرب رصاصة بقدمها، أطلق القناص رصاصته بقدم ياسمين ممادفعها للوقوع على الأرض، تسقط ياسمين على الأرض وتسقط معها أنوثة الحياة كلها، جن جنون الثوار من كتيبة مجاهدي الصالحية وانطلق أول شاب استطاع الوصول لياسمين، يحاول حملها وهي مبتسمة منهكة وبدأت يداها تترنحان باتجاه الأسفل فهي تعلم الآن انها ذاهبة إلى يزن خطى الشاب بضعة خطوات حتى قتله القناص برصاصة، لم يستطع الثوار تركها فكذا فقد كان حيدر محقاً فالرجل الحقيقي في المجتمع الشرقي يرى بالموت ثمناً أرخص من الحياة مع ألم الوقوف عاجزاً عن فعل شيء وفتاة ملقاة في وسط الشارع تحتضر، قدم عمَر وبدأ بتصوير الفتاة الملقاة وسط الطريق لم يستطع إلى هذه اللحظة أن يحدد معالمها انطلق أحد قادات الكتيبة لينقذ ياسمين ألقاه القناص أرضاً واستطاع يومها أن يقتل أربعة شباب من خيرة المقاتلين ممن خرجوا للموت من أجل إنقاذ ماتبقى في هذا العالم من إنسانية.

مرت الساعة الثانية على ياسمين وهي ملقاة على الأرض، تلقت رصاصة وسط جسدها لتبدأ الدماء بالانهمار على أرض الياسمين من فتاة دفعت مالم يدفعه أحد في سبيل إعادة الإنسان في سبيل إعادة الحرية للبشر من أجل أن يعيش الأطفال، مرت الساعة العاشرة على إلقائها على الأرض وبدأت روح ياسمين تغادر جسدها لتريحها من هذا العيش منطلقة بطريقها إلى يزن في هذا الشارع القريب من الشارع الذي تظاهرت فيه في مثل هذا اليوم من العام السابق مقابل الكنسية لعزاء عائلة باسل متحدية عناصر

المخابرات الجوية بإصرارها وجمالها وحبها للحياة ماتت ياسمين وهي تعانق خاتم خطوبتها الذي لم يفارقها منذ وضعته وكان المؤنس الوحيد لوحدتها ماتت ويزن في قلبها وعقلها ماتت من أجل أن يعيش الأطفال بحرية وعدل من أجل أن يأخذ كل ذي حق حقه وأخذت معها أربعة من خيرة الشباب، استطاع الثوار أن يسحبو جثامين الشهداء وصدم عمَر بجثمان ياسمين التي نقلت ودفنت في مثواها الأخير معطيةً الراية لمن بقي على قيد الحياة.

٩-٦-٢٠١٣

مضى ثمانية أيام على استشهاد ياسمين كانت دافعاً كبيراً لأحمد وعمَر لمتابعة مسيرتهم من أجل معركة أخرى في دمشق، اجتمع الصديقان مع أحد مندوبي الألوية التي تمتلك إمكانيات عالية بغية إقناعهم بدعم المعركة والمشاركة فيها، رفض المندوب برسالة من قائده المشاركة بالمعركة قال أحمد للمندوب إذا كنتم معارضين على أحد المشاركين فنحن باستعداد أن نعمل تحت قيادتكم وأن تكون المعركة باسمكم شريطة دعمكم لنا بما يلزم أجابه المندوب بأن معركة بالوقت الحالي غير واردة بالنسبة لهم بسبب عدم توحد الناس تحت قيادة واحدة لقيادة مستقبل سوريا وأعطى الشابين مثالاً (تخيل يارجل إذا مقهى بالبلد ماعم نحسن نسكره بسبب ألوية تانية كيف بدك نشتغل على تحرير دمشق مالازم نتمكن؟) اصطدمت أحلام عمَر وأحمد بمصالح السياسة بمصالح من يريد الحكم في البلاد، سأل عمَر أحمد كيف يفكر من عاش آلام الناس ويعرف معاناتهم بعد أن أعمت القوة الوهمية التي بين يديه عيناه كيف نسي وقد كان يختبئ بمنازل العائلات والأهالي ليقوه من عناصر تلاحقه آلام بناتهم وهم يبحثون عن لقمة العيش في سلال المهملات كيف ينسى معاناة الأهالي المهجرين كيف نسي ياسمين في السجن وهي تنتظر وقع أقدام الثوار لتحريرها كيف نسي أنات فتاة تغتصب ودمعة أم تبكي فراق ابنها المعتقل يبدو أنه يحاول أن يقنع أنانيته

بأن ياسمين لم تقتل لمصلحته السياسية لتحوله من الجبهات إلى محاولة الوصول إلى سدة الحكم، كيف يحاول إلقاء اللوم على دمشق الياسمين بعربدته بها ويتهمها بالبغاء ويرميها بالقذائف الحاقدة وهي كالأم الحنون تدعو لولدها بالهداية وهل نسي دمشق وهي تغتصب.

كلمات

ماعدت مصيغاً للكلمات

فعيوني تجري في الظلمات

وحياتي مسرح أحلامٍ تنسيني آلام الكدمات

أوطاني أوطاني تنزف احلاماً

أحلاماً باتت ساكنة مجرور عراة مجرور زناة

ورفاة صديقي يصرخني أنداء الحرية قد مات

أنداء الحق المدوي أكلته ساسات الأزمات

ألوية تبني أمجادا ترنو اعراشاً زائفةً

وتتاجر كلمات عظمى باتت بالله متاجرة

بكلام الحق باغيةً وأوطاني ساكنة النسمات

كلماتٌ تقتلني الكلمات فعيوني باتت جامدةً

أكلام الله بات رفات؟

واعتصمو بحبل الله جميعاً قد تمنع حتى في الصلوات

كلمات لن تفهم صدقاً فضميرنا لم يحيى حتى، حتى ينادى بأنه مات